

كلمة محمد

يا رسول الله
صلوات الله
وسلامه



دروس و فوائد و وصايا و عبر و عظات

كتاب جمع بين السرد التاريخي للسيرة وبين استشعار المعاشية للأحداث،

كأنك تراها وتشاركها بأحاسيسك ومشاعرك .

محمد القلبي
أبو أليس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة



دار الفتح للنشر والتوزيع
PUBLISHING & DISTRIBUTION

الكتاب: كم أحبك يا رسول الله

المؤلف: محمد القليبي.

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/٣٣٣٦

الترقيم الدولي: 978-977-6677-92-0

الإخراج الفني: newtouch

دار الفتح للنشر والتوزيع (جمهورية مصر العربية)
(عرب الرمل - قويسنا - منوفية) ، (كفر الجزار - بنها - قليوبية)
00201022868004 00201154555818
info@darolfath.com دار الفتح للنشر والتوزيع f
www.darolfath.com

التصميم والإخراج الفني

New Touch
advertising
Nagi Galal

(002)26 99 08 99 0101 203 2005
newtouch.eg@gmail.com





﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ

وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ

مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[الأعراف: ١٥٧].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَا أَعَدَدْتَ لِلْسَّاعَةِ؟» قَالَ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قَالَ أَنَسُ رضي الله عنه: فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرِحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قَالَ أَنَسُ رضي الله عنه: فَأَنَا أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ. [رواه البخاري ومسلم].



لقد عرفنا

إلى كل قلبٍ أحب نبيه واقتدا به .. أهديكُم ..

رسالة حب من قلبي للنبي ﷺ .

كلمة حب
يا رسول الله ﷺ
صلى الله عليه وسلم

كيف لا أحبك؟!!

ولولا أن الله رحم العالم بك ما عرفنا طريق الجنة!





مقدمة

الحمد لله الذي بعث فينا رسوله بالهدى ودين الحق، معلماً ومريّاً وموجهً ومرشدًا وقائدًا وأبًا وإمامًا وأستاذًا قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ



وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿[آل عمران: ١٦٤].

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين صلوات ربي وتسليماته عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه أنوار مضيئة مقتبسة من حياة الحبيب ﷺ، أصلها ثابت كما في الأحاديث الصحيحة فيما جاء عند أهل السير وضعتها في صور مبسطة وألفاظ سهلة حتى يستوعب القارئ الصورة العظيمة لرسالة الحبيب فيعيش في ضمائرنا عظيمًا، وفي قلوبنا رحيماً، وفي أبصارنا إمامًا وفي آذاننا مبشرًا ونذيرًا، وعلى الرغم





من أنها مختصرة فإن فيها غذاء للروح، وتثقيفًا للعقول وحياة للقلوب، وصفاء للنفوس.

ففعالها بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا ومشاعرنا مع روائع الأخبار من سيرة المختار ﷺ فإننا في أشد الحاجة لمعرفة المنهاج النبوي في تربية الأمة وإقامة الدولة، وحتى نلتمس من هديه ﷺ الطريق الصحيح في دعوتنا والتمكين لديننا، ونقيم بنياننا على منهجية سليمة مستمدة أصولها وفروعها من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. فهو نعم القدوة والمثل، عاش حياته بين الحزن والفرح، والأمل والألم، فتراه يومًا يربط الحجر والحجرين على بطنه من شدة الجوع، ودخل عمر بن الخطاب يومًا على الحبيب ﷺ فوجد الحصير قد أثر في جنبه الشريف، ومع ذلك كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، ورغم أنه تعرض ﷺ لكثير من الإيذاء على أيدي كفار مكة فقد لقي من قريش ما يشيب النواصي من نفور وقسوة وتصدي للدعوة فقد جبلوا على الجفوة والعناد فطردوه من مكة





وأخرجوه منها مع رغبتة الصادقة في إبلاغهم الخير الذي يحملهم إليه، فلما دخل ﷺ مكة فاتحاً خفض رأسه متواضعاً وقال لهم: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومًا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

عاش ﷺ في العسر واليسر، فقيراً وغنياً، محارباً ومسالماً ومعاهداً، يستطيع أن يقتدي به القائد المحارب من خلال غزواته ﷺ كيف كانت أخلاقه في السلم والحرب، وعند النصر والهزيمة؟ يستطيع أن يقتدي به القاضي وهو يقضي بين الخصوم ويفض النزاعات، يقتدي به المعلم فكان ﷺ يجلس مع أصحابه متواضعاً في المسجد يعلمهم دينهم، يقتدي به المتعلم وهو يتلقى ﷺ الوحي عن ربه، من **جبريل**، يقتدي به الزهاد ويدركون معنى الزهد وحقيقته ومقصده، ويتعلم المبتلون منه أسى درجات الصبر والثبات، فتقوى عزائمهم على السير في طريق دعوة الإسلام وتعظيم ثقتهم بالله ﷻ ويوقنوا أن العاقبة للمتقين.





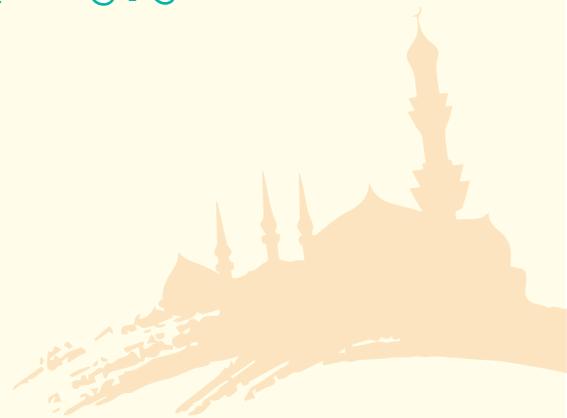
فسيرة الحبيب ﷺ زاد للدعاة في التعامل مع من يدعونهم، وهي زاد للقادة والمصلحين، وزاد للمربين، وزاد للعامة والخاصة ..
وَأْمَل فِي النِّهَايَةِ أَنْكُمْ حِينَ تَقْرُؤُونَ هَذِهِ الصَّفَحَاتِ سَتَشْعُرُونَ بِحَقِيقَةِ مَا أَقُولُ !!

فتعالوا بنا لتتعلم من نبينا ﷺ ونعلم أولادنا كيف نحيا بهديه ﷺ .
والله أسأل أن يحشرنا مع زمرة نبينا الكريم وأن يوردنا حوضه، وأن يسقينا منه شربة لا نظماً بعدها أبداً، هذا...

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

كتبه

مُحَمَّدُ الْقَلْبِيُّ
الأولمسن
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م





مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبد، وعلى آله وصحبه من بعده.. أما بعد:

فإن من نعم الله -تعالى- وتوفيقه أن نفذت الطبعة الأولى والثانية من هذا الكتاب في وقت قصير جداً، وهذا من فضل الله وإحسانه.

وهذه الطبعة الثالثة قد صُحح فيها ما وُجد من أخطاء يسيرة، وأضيف للكتاب بعض الإضافات التي أغلبها من نصائح القراء، فجزى الله خيراً كل من ساهم في نشره.

فهذا الكتاب محاولة للتعريف الموجز والعميق بسيرة الحبيب ﷺ، حتى نستطيع تحقيق العودة إلى تعاليمه المهجورة، والتمسك بهديه الذي ابتعدنا عنه في ديننا ودياننا، مما جعل كثيراً من المغرضين الضالين أن يتناولون على نبينا الأمين.

فشاركنا وكن داعياً لنشر نور سيرته، ومباً عن سنته ﷺ .

للنصيحة:



alkulaie@gmail.com



002/01009264811





صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

نسب الحبيب

في البداية: هيا بنا نتقرب من الحبيب ﷺ أكثر وأكثر ونتعرف على نسبه فقد اختار الله تعالى رسوله ﷺ من أشرف القبائل، ومن أظهر الأصلاب وأنقاها، فهو خير أهل الأرض نسباً وشرفاً إنه:



أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ [البخاري].

فهو خيار من خيار، كما قال ﷺ عن نسبه:

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ

بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». [مسلم]





فهو صلى الله عليه وسلم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

أم أمه فهي: أمّنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب. وكلاب هو الجد الخامس للحبيب من جهة أبيه، فأبوه وأمّه من أصل واحد، يجتمعان في كلاب، واسمه حكيم لكنه كان كثير الصيد بالكلاب فعرف به.

من هنا كانت البداية

كانت **مكة** بلدة مباركة فقد أسسها **الخاليل إبراهيم** حينما خرج بابنه الصغير إسماعيل وأمّه من مصر وظل سائرًا بهما ليلاً ونهارًا حتى وصلوا إلى مكان وسط الصحراء ليس فيه زرع ولا ماء وترك الخليل زوجته وابنه الصغير إسماعيل في هذا المكان وانصرف.





تركهما في رعاية الله وأمنه ولم يقل إن المكان صحراوي ليس فيه ماء... ولم يقل إن الوحوش يمكن أن تفترس الأم وطفلها...

لأنه يعلم أن الله يحفظ عباده ولذلك توجه إلى الله بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

طلب إبراهيم ﷺ من ربه أمرين:

1 الأول: أن يجذب الناس إلى هذا المكان ويعمره.

2 الثاني: أن يرزقهم الله من الثمرات.

وقد استجاب الله دعاء **الغليل إبراهيم** فقد جذب الناس إلى هذا المكان حين عرفوا أن الماء نبع فيه من باطن الأرض وأصبح المكان عامراً.

وكانت **مكة** أول قرية أنشئت في هذا الوادي فسُميت **بأم القرى**.





أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ

قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرنًا من الزمان كان العالم كله مظلم يترقب حدثًا عظيمًا أوشك على الوقوع، لقد ظهرت علامات ملأت بشائرها الكون كله، نعم اقترب مجيء من يخرجهم من الظلمات إلى النور.

أندروهم ماذا حدث ؟

تحققت بعد آلاف السنين دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام التي كان يدعوها وهو يرفع قواعد الكعبة المشرفة، ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

لقد ولد نبي آخر الزمان، قال رسول الله ﷺ: "أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ".

فجزى الله خليل الرحمن خيرًا على دعوته .



صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

مولد الحبيب

ولد الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتيمًا فقد توفي أبوه عبد الله والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مازال في بطن أمه وهذا من أعلى درجات اليتيم، أن يتوفى الأب قبل أن يراه ابنه^(١) ولم تأنس عيناه برؤيته.

ولد الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولما ولدته أمه أمنة بنت وهب رأت كأنها خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام.

ولما أخبر جده عبد المطلب بمولده بكى...

فلماذا كان بكاءؤه؟

هل كان يبكي من شدة الفرح؟

أم كان يبكي لبعض الذكريات الأليمة؟



لعله كان يبكي للأمرين من شدة الفرح لمولد الغلام ولبعض الذكريات الحزينة فقد توفي ابنه عبد الله في ريعان شبابه ودفن خارج مكة. وترك امرأته أمنة وهي حامل.

(١) حيث سافر أبوه عبد الله إلى فلسطين للتجارة وفي طريق عودته مرض فنزل عند أخواله من بني عدي بن النجار فمات عندهم بالمدينة المنورة



ويمكن لنا من خلال التعرف على نسب النبي ﷺ

أن نستخلص بعض الطعاني والعيرونها:

✓ أن الإسلام لا يفاضل بين الناس حسب أنسابهم، ولكن مما لا شك أن الداعية والمصلح إن كان شريفًا في قومه؛ فإن الناس يسمعون له أكثر من غيره، ويكون تأثيره فيهم أكبر.

✓ ومن المشاهد أيضًا أن الناس يسمعون ويطيعون لأهل الشرف والمكانة فيا حبذا لو استغل هؤلاء مكانتهم في التقرب إلى الله بعمل الصالحات، والقضاء على الكثير من البدع والخرافات التي تحتاج إلى جهودهم؛ مثل الإسراف في حفلات الزواج وغيرها.



صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَرضاعته^(١)

ولد الحبيب ﷺ بمكة وكان من عادة العرب في هذا الزمان أنه إذا ولد لهم غلام أرسلوه إلى البادية في بطون الصحراء، فإن العيش في البادية يكسب الأطفال:

✓ قوة البياض .

✓ فصاحة اللسان .

✓ ابتعاداً لهم عن أمراض العواضد .

✓ رجامة العقل .

○ وحتى يعتمد على نفسه بعيداً عن تدليل الأقارب وتهاونهم أحياناً، لذلك أرسلوا

الحبيب ﷺ للعيش في البادية مع حليلة السعدية مرضعة بني سعد، انظروا إلى الفطرة السوية عند العرب في اهتمامهم بأبنائهم.

عاش الحبيب في البادية وأرضعته حليلة السعدية عامين ولما رأته ما قد نزل عليها من الخير والبركة من وجود هذا الغلام الصغير في بيتها طلبت من أمه أن يعيش معها

(١) وكان أول من أرضعه ﷺ أمه آمنة، ثم ثوية مولاة أبي لهب وأرضعت معه حمزة بن عبد المطلب، ثم أرضعته بعد ذلك حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية من بني سعد بن بكر.





أكثر من ذلك بحجة أنها تخشي عليه من وباء مكة .

وترددت **السيدة أمنة** في القبول، ولكنها تماسكت واحتملت فراق ابنها الحبيب تحقيقاً لمصلحته وحرصاً على صحته .

عادت **عائمة السعدية** بالنبي ﷺ فعاش معها أربعة أعوام وفي يوم من الأيام والنبي ﷺ صغير جالس مع الصبيان، هرول الصبيان إلى **عائمة السعدية** يصيحون ويصرخون أماءه لقدامي رجلان وأخذاً محمداً ثم أضجعاها^(١) وشقاً صدره، لم يعلموا أن الرجلين من الملائكة، وفيهما جبريل أرسله رب العالمين إلى النبي الأمين ﷺ ليستخرج من قلبه حظ الشيطان.

وليست عملية شق الصدر، استئصالاً لغدة من الغدد في داخل الجسم أو قطعة لحم تُقَطَّعُ من داخل الجسم فيصبح بذلك خيراً، وإلا لأمكن استبعاد الشر واستئصاله بعملية جراحية.. كلا، وإنما هي عملية تطهير معنوي أخذت الصورة المادية والشكل المحسوس، ليكون في ذلك مزيد بيان وإيضاح، وإعلان على مرأى ومسمع من الناس، ليؤمنوا به، ويصدقوه.

(١) جعلاه ينام على ظهره .





وما ذلك إلا بقدره الله العزيز الحكيم، فالقصة ثابتة صحيحة، ولكن إدراك حقيقتها وكيفيتها لا يعلمها إلا الله ومن شاء من خلقه.

ولما سمعت حليلة السعدية بما حدث فزعت وخافت فهي مسئولة عن هذا الغلام، فأرسلته إلى أحضان أمه ليعيش معها.

صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

مع أمه

وطا بلغ الحبيب ﷺ السادسة من عمره الشريف أرادت أمه أن تأخذه لزيارة قبر والده الذي لم يره وزيارة أخواله من بني النجار في يثرب (المدينة) واستأذنت من جده عبد المطلب الذي كان لا يطيق فراقه أبدًا، فذهب النبي ﷺ وهو صغير مع أمه ومعهما أم أيمن خادمة أم النبي ﷺ ولما وصلوا يثرب وراه أخواله فرحوا به فرحًا شديدًا ولم يأذنوا لأمه بالعودة إلا بعد إلحاح شديد فمكث عند أخواله شهرًا.

أسرعت أم النبي ﷺ بالعودة إلى مكة بابنها الصغير، وفي منتصف الطريق وبينما هي عائدة وبالتحديد لما وصلت الأبواء^(١) أحست بآلام شديدة أوقفتها عن المسير.

(١) الأبواء: مكان بين مكة والمدينة .





الشعر المرض بأم النبي ﷺ ولعلها أخذت تتوجع من شدة الآلام، والنبي ﷺ ينظر إلى أمه المريضة وهي تتألم ويشتد بها الوجع ولعلها كانت تحاول أن تكتم آثار الآلام حتى لا يراها ابنها الصغير وهي في هذه الحالة، ولكن لم يكن في الصحراء شيء يحجب رؤية النبي ﷺ عن أمه وهي في الأنفاس الأخيرة، وتموت أمه أمام عينيه، وأمر صعب أن يرى طفل صغير أمه وهي تموت أمام عينيه وأم أيمن لا تدري ماذا تفعل فلم تستطع الرجوع بها إلى المدينة ولا حملها إلى مكة، **فماذا فعلت؟ بدأت تحفر في الصحراء ماذا تفعلين يا أم أيمن!؟**

وضعت أم أيمن السيدة آمنة وأخذت تحثو التراب على جسدها

ولعل النبي ﷺ كان ينظر إلى أمه وهي تدفن.

وكأن الله تبارك وتعالى أراد أن يعلم نبيه حقيقة الدنيا لذلك هانت الدنيا في عينه ﷺ، نعم فكل هذا من الإعداد الرباني للنبي ﷺ ليتحمل الآلام والمشاق من أجل دعوة الإسلام.





فقد يمر المؤمن بالمصائب والأحزان وهو لا يدري أن وراءها الخير الكثير

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

مع الجد العطوف

وعاد الحبيب ﷺ إلى مكة بعد أن أصبح يتيم الأب والأم، عاد ﷺ إلى مكة ليعيش مع جده عبد المطلب، وحاول جده أن ينسيه آلام اليتيم وآثار الحزن فكان يؤثره علي أولاده، وبذل أقصى ما في جهده، ولقي الحبيب ﷺ من الحفاوة والتكريم مالا يعرف مداه؛ وبالفعل نجح عبد المطلب فجعل الحبيب ﷺ لا يشعر بآثار اليتيم حتى تعلق بجده وأصبح لا يستطيع مفارقتة.

ولكن مات جده عبد المطلب، فقد أراد الله تبارك وتعالى أن ينشأ نبيه يتيمًا بعيدًا عن تربية أبيه وأمه وجده، حتى لا يزعم أحد أن اليتيم نقمةٌ تحوّل بين صاحبها وبلوغ أسمى المراتب، بل تكون الأسوة الحسنة لكل يتيم في شخص





رسول الله ﷺ الذي كانت تربية الله وعنايته به أفضل وأكمل وأحكم وأحسن من أي تربية أخرى، وصدق الله حيث أظهر مَنَّتَه على نبيه بقوله:

﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ** ﴾ [الضحى: 6].

زيد أن نتعلم من حياة الحبيب ﷺ أن الشدائد تصنع الرجال،
وأن لحظات الضيق تحمل مفاتيح الفرج، وأن الله لا يمنح المطمئن إلا ليعطيه،
ولا يبتليه إلا بقدر يرفع درجته ويُعلي منزلته.





صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

كفالة عمه

ولما بلغ الحبيب ﷺ الثامنة من عمره وبعد أن توفي جده الرحيم والكافل الكريم عبد المطلب وقد أوصى قبل موته أن يكفله أبو طالب عم النبي ﷺ.

وكان أبو طالب فقيراً معه الكثير من الأولاد، ففطن الحبيب ﷺ رغم صغر سنة إلى فقر عمه وأنه بحاجة إلى من يعاونه، فماذا فعل أخذ يبحث عن عمل ليساعد عمه فرفض العم شفقة به ورحمة بصغره.

وهكذا يجب أن يكون القريب من الأحوال والأعمام تجاه أقربائهم، وبالأسف والعجب، حين نسمع أن بعض الأعمام أو الأحوال يطمع في أموال الأيتام الذين استرعاهم الله فيهم، ويريد أن يأخذ ما بأيديهم لنفسه، وَيُحْرِمُهُمْ مِنْ حَقِّهِمْ الشَّرْعِيِّ، ونسي أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي

بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].





ويصر الحبيب ﷺ على العمل فاشتغل برعي الأغنام وهو ابن ثمان سنين، يكد ويتعب ويعمل، واكتسب من رعي الأغنام صفات كثيرة منها:

١- **الصبر:** فكان ﷺ يرعى الأغنام من أول اليوم إلى آخره، ومعلوم أن الأغنام أكثر الحيوانات تفرقاً، فكان ﷺ يجمعها ويوحدها دون أن يتأذى أو يثور، وكأن الله تعالى يعد نبيه ﷺ لأمر عظيم وهو جمع شتات الأمة وتوحيد صفوفها.

٢- **التواضع:** فكان ﷺ يجلس معهم وينام بجوارهم.

٣- **الرحمة والعطف:** فكان ﷺ يساعد الأغنام إذا مرضت ويداوي الجريحة منها.

٤- **اليقظة والانتباه:** لأنه لو غفل أو سها عن الغنم فإن الذئب يمكنه أن يفترس منها واحدة أو أكثر ولذلك لم يكن يسهو عن غنمه.

٥- **الشجاعة:** فكان ﷺ يحفظ الأغنام من الحيوانات المفترسة في الصحراء.

٦- **الأمانة:** فهو يتسلم عددًا معينًا من الغنم في الصباح ويردها كما هي في المساء وربما زاد في عددها إذا ولدت إحداها فإنه يردها مسرورًا بهذا الخبر.

٧- **القناعة:** فكان يرعى الأغنام بأجر قليل (قارن [هنا](#)) أي جزء من الدراهم.





فقد اقتضت حكمة الله تعالى ألا يرسل رسولاً إلا ورعى الغنم، ولعلها أولى مراتب مدرسة النبوة، فالحق سبحانه يدرّب رسوله على رعاية الرعية برعى الغنم ...

لأن الغنم أمة فيهم القوي والضعيف والنشيط والوديع، والمريض والصحيح.

فإذا ما رعى الراعي ووفق بين هذه الأنواع في الأغنام؛ فإنه يستطيع أن يوفق بين الرعية من بني الإنسان على اختلاف صنوفهم وعقولهم وأفكارهم، والتعامل مع كل نوع بما يناسبه وقد رعى الحبيب ﷺ الغنم، مثل من سبقوه من الأنبياء قبله.

قَالَ ﷺ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ. فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ.

فَقَالَ: فَحَمِّمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيظٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ. [رواه البخاري: ٢٢٦٢]

ولا شك أن العمل في أي مهنة شريفة مهما قل الكسب فيها، خير من أن يعيش الإنسان عالة على غيره من الناس، أو يتسول في الطرقات لكي يعيش.





بحيرا الراهب

ولما بلغ الحبيب ﷺ الثانية عشرة من عمره ارتحل به أبو طالب تاجرًا إلى الشام والتقى ببحيرا الراهب فأبصر محمد ﷺ وتحدث معه ثم التفت إلى أبي طالب ودار بينهما هذا الحوار:

الراهب: من هذا الغلام منك؟

أبو طالب: إنه ابني .

الراهب: ما هو بابنك، وما ينبغي أن يكون أبوه حيًا .

أبو طالب: هو ابن أخي .

الراهب: أين أبوه؟

أبو طالب: مات وهو في بطن أمه .

الراهب: صدقت فارجع به واحذر عليه من اليهود والله لورأوه ليناله منهم

شر فإنه سيكون له شأن عظيم .





بعدها أسرع به أبو طالب عائداً إلى مكة خوفاً عليه من أن يصيبه أذى من اليهود .

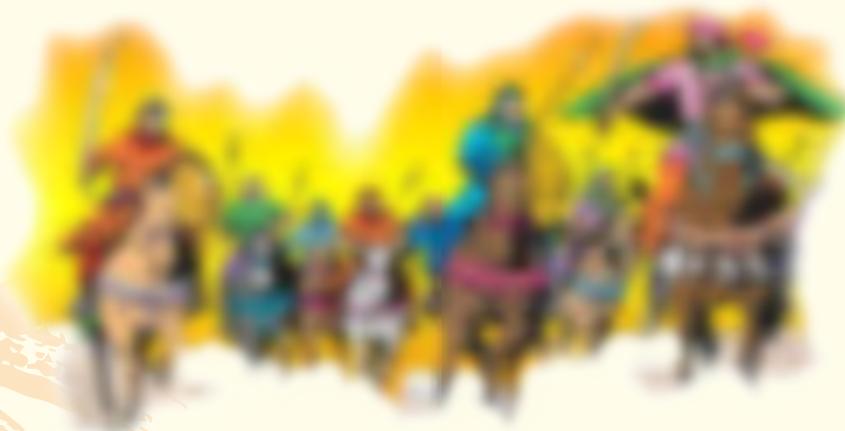
ولما بلغ الحبيب ﷺ الثالثة عشرة من عمره ظل يسعى ويعمل للكسب الحلال من خلال رعيه للغنم، ثم عمل بالتجارة وهي مهنة تُعلم الإنسان صفات الناس وأخلاقهم لأنه يحتك بهم ويعاملهم بالمال فتظهر أكثر الطبائع خلال هذا التعامل، واشتهر ﷺ بين الناس بالصادق الأمين، وليس من السهل أن يجمع التاجر بين الصدق والأمانة ورضا الناس، ولكن رسول الله ﷺ القدوة لكل تاجر والأسوة لجميع الناس جمع بين الصدق والأمانة والإخلاص ورضا الناس.





حرب الفجار

ولما بلغ الحبيب ﷺ خمس عشرة سنة؛ وقعت حرب الفجار بين قريش ومعهم كنانة وبين قيس وسميت بذلك للقتال في الأشهر الحرم وكان ﷺ يضرب بالنبل دفاعاً عن حرمة الأشهر الحُرْم التي اعتدت عليها بعض القبائل، فتعلم فن الحرب والقتال، وتعلم فن صنع معاهدات السلام، فقد وقع علي إثر هذه الحرب حلف الفضول وهو المعاهدة علي ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وشهده الحبيب وهو مبني علي خلاف الحمية الجاهلية.





ولما بلغ الحبيب ﷺ الخامسة والعشرين من عمره وقد كان يعمل حينئذ في التجارة وقد اشتهر بالصدق والوفاء والأمانة سمعت السيدة خديجة بنت خويلد به فأرسلت إليه ليخرج تاجرًا بما لها إلى بلاد الشام مع غلامها ميسرة فقبل ﷺ وهناك عرف ميسرة الكثير من صفاته وأخلاقه الكريمة، فلما عاد وصفها لسيدته فأعجبت به .
ولما رأت **خديجة** في ما لها من الأمانة والبركة ما لم تر من قبل فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه فذهبت نفيسة إلى النبي ﷺ فتأخذه في زواجه بالسيدة **خديجة**.
ولا حرج في وجود الميل في القلب، المهم هو كيفية التعبير عن هذا الميل، فلا تفعل ما يغضب الله ﷻ .





وتزوج النبي ﷺ السيدة خديجة بعد رجوعه من الشام بشهرين، فكانت خير زوجة لخير شباب، فأنجبت منه: ولدين هما: **القاسم، وعبد الله** .

وأربع بنات هن: **زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة** .

وكلهم ماتوا في حياته ﷺ إلا **فاطمة** توفيت بعده بستة أشهر.

إن فقدان الولد مصابٌ عظيم للأب والأم، ولكن أجر الصبر أعظم، فالله لا يصيب العبد بشدة إلا ليرفع درجته ويسكنه جنته، وتستمر الحياة بعد ذلك ولا تقف حركة الكون من أجل أحد، والدعاة هم أحرى الناس بتدبر هذه المعاني وتلفينها للناس سلوكاً وقدوةً وتخفيفاً ورحمة .

ومن خلال زواج النبي ﷺ بالسيدة خديجة ﷺ، نتعلم أن :

١- المرأة إذا وجدت لها الكفاء فلا مانع أن تطلب منه الزواج .

٢- عامل السن في الزواج في حالة الكفاءة، ورجحان العقل لا يفسد الحياة الزوجية.

٣- عمل الرجل في مال زوجته لا شيء فيه، وعليه أن يتقى الله ﷻ ويكون على قدر المسئولية.





- ٤- أن الصدق والأمانة من صفات الأنبياء والمرسلين، وحري بالمرء أن يتمثل بهما، وهي صفات تجعل صاحبها عزيزاً في قومه .
- ٥- ينبغي غرس صفة الأمانة في نفوس أبنائنا منذ الصغر حتى يتعودوا عليها .
- ٦- سنت السيدة خديجة بزواجها من رسول الله ﷺ، سنة ترفع من قدر المرأة، فقد تمسكت بحقها في اختيار شريك حياتها، وانتقاء الرجل الصالح الذي أحبت أن يكون أباً لأولادها منه.





صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

قبل بعثته



ولما بلغ الحبيب ﷺ الخامسة والثلاثين من عمره قامت قريش ببناء الكعبة من جديد وذلك بعد سيل عرم جرف مكة إنحدر إلى البيت الحرام فأوشكت الكعبة على الانهيار وكان النبي ﷺ ينقل الحجارة مع عمه العباس .

فلما بلغ البناء موضع الحجر الأسود، أرادت كل قبيلة أن تحظى بشرف وضع الحجر الأسود في مكانه، وكادوا أن يقتتلوا على ذلك، ثم أجمعوا أمرهم أن يُحْكَمُوا أول الداخلين عليهم، فطلع عليهم رسول الله ﷺ فاستبشروا وهللوا، **وقالوا:**

رضينا بالصادق الأمين، ثم عرضوا الأمر عليه، والحبيب ﷺ بخبرته وحكمته.

قال لهم على الفور: ضعوا الحجر على ثوب، ثم جمع رموز القبائل وكبرائها وقال: **(لِيُمْسِكْ كُلُّ وَاحِدٍ طَرَفِ الثَّوْبِ)**، وأمرهم برفعه معاً وعليه الحجر، ثم





استلمه النبي ﷺ بنفسه ووضعه في مكانه، وبذلك انتهت مشكلة كادت تؤدي إلى حرب يهلك فيها الصغير والكبير .

ومما يدل على سلامة فطرة العرب أنهم قرروا ألا يدخل في بناء الكعبة مال حرام، فجمعوا المال الحلال وشرعوا في البناء، ولم يكن المال كافيًا لإتمام البناء، فأخرجوا حجر إسماعيل من الكعبة.

وكان هذا عندهم أهون من بنائها كاملة بمال حرام، إن الذي أدركته العرب بفطرتها يغيب الآن عن كثير من الناس يجمعون المال ولا يبالون أمن حلال أم حرام .

وقبل الأربعين حُب إلى الحبيب ﷺ الخلاء فكان يأخذ السويق والماء ويذهب إلى غار حراء في جبل النور على بعد نحو ثلاثة كيلومترات من مكة فيقيم فيه شهر رمضان يقضي وقته في العبادة والتفكير فيما حوله من المشاهد الكونية وفيما وراءها من قدرة مبدعة .





إشراقات الوحي الرباني

لقد بلغ الحبيب الآن الأربعين من عمره وها هو ذا ﷺ إن غدا أورااح لا يمر
بججر ولا شجر إلا قال له: **السلام عليك يا رسول الله** فيلتفت حوله يمينا وشمالا
فلا يري أحدا سوى الحجر والشجر يسلم عليه .
وها هو ﷺ صار لا يري رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح .



وفي ليلة من ليالي رمضان لعلها السابعة عشرة منه نزل عليه جبريل عليه السلام
يحمل بشري النبوة تمهيدا لحمل الرسالة إلى الناس كافة وذلك في العام الثالث
عشر قبل الهجرة .





نظر النبي ﷺ إلى السماء فوجد شيئاً يسد الفضاء، ما هذا؟! إنه يقترب منه شيئاً فشيئاً لقد اقترب منه أكثر..

خشي النبي ﷺ على نفسه لكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً..

واقترب منه الملك جبريل.

وبدأ يخاطبه: قال جبريل للنبي ﷺ: اقرأ.

أنا بقرئ

فقال النبي ﷺ: ما أنا بقرئ (أي لا أقرأ ولا أكتب) فكان الحبيب أمياً، والأمية إذا ما نسبت إلى أحد فهي عيب ونقص، ولكن إذا ما نسبت إلى الحبيب ﷺ فهي معجزة من معجزاته فهو الأمي الذي علم الأمة كلها.

ثم ضمه الملك إلى صدره ضمة شديدة جعلت العرق يتصبب من جبين الحبيب ﷺ ثم تركه. أعادها جبريل مرتين ويجيب النبي ﷺ نفس الإجابة ما أنا بقرئ.

فقال جبريل ﷺ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣].





فكان أول ما نزل من الوحي اقرأ، فنحن أمة اقرأ، أمة العلم ولكن أين أنتم
يا أمة اقرأ أين أنتم يا شباب العلم؟!.

وبعد ذلك انصرف الملك وغاب عن بصر الحبيب ﷺ وظل يبحث عن من كان
يحدثه فلم يجده ..

**نزل الحبيب ﷺ من الغار، وأسرع إلى بيته خائفاً مذعوراً، وحكى لزوجته البارة خديجة ما
حدث فطمأنته وقالت له: والله لا يخزيك الله أبداً، وذكرته ببعض خصاله الحميدة مثل أنه كان:**

يصل الرحم .  **يصدق الحديث .** 

يساعد الضعيف .  **يعين الناس في مصائبهم .** 

نعم فصنائع المَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ.

وبعدها ذهب الحبيب ﷺ مع زوجته خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان مشهوراً
بالعلم والفضل في زمن الجاهلية، وكان لا يعبد الأصنام، وكان شيخاً كبيراً كُف بصره.





وصلت **خديجة** مع زوجها إلى بيت ورقة بن نوفل وأخبر الحبيب ﷺ ورقة بما رآه وما سمعه في الغار، فطمأنه ورقة وقال له:

إن هذا الذي رأيته في الغار هو الوحي الذي كان ينزل على موسى ﷺ

إنك ستكون نبي هذه الأمة.

وليتني أكون حيًّا فأنصرك حين يخرجك قومك من بلدك!

فتعجب النبي ﷺ وسأل: **وهل سيفرجني قومي؟!**

فقال له ورقة: نعم لم يأت رجل بما جئت به إلا عاداه قومه وأخرجوه ولو كنت قوياً في ذلك الوقت لأنصرتك نصراً قوياً.

وعاد الحبيب ﷺ إلى بيته يفكر فيما قاله ورقة بن نوفل فعلم أن الأيام تُخبئ له أحداثاً عظيمة ولكنه كان على يقين وثقة أن الله لا يخذله.

وانقطع الوحي زماناً، ثم تتابع، وبدأ القرآن ينزل.





من الأربعين إلى الثالثة والأربعين من عمره الشريف

وبدأ الحبيب ﷺ دعوته في أول الأمر سرًّا فكان أول من أسلم من النساء **خديجة** ومن الرجال **أبو بكر الصديق** ومن الصبيان **علي بن أبي طالب** ومن الموالي **زيد بن حارثة** وغيرهم الكثير.

ولما زاد عدد الذين دخلوا في الإسلام علي الثلاثين اختار لهم الرسول ﷺ دار أحدهم وهو (**الأرقم بن أبي الأرقم**) لتكون أول مدرسة في الإسلام لكي يتعلموا فيها مبادئ هذا الدين .
وأول ما نزل من الأحكام الأمر بالصلاة .





الأسباب في اختيار دار الأرقم:

كان اختيار دار الأرقم لعدة أسباب منها:

- ١- أن الأرقم لم يكن معروفًا بإسلامه، فما كان يخطر ببال أحد أن يتم لقاء محمد وأصحابه بداره.
- ٢- أن الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه من بني مخزوم، وقبيلة بني مخزوم هي التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم. فلو كان الأرقم معروفًا بإسلامه فلا يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره؛ لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو.
- ٣- أن الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه كان فتى عند إسلامه، فلقد كان في حدود السادسة عشرة من عمره، ويوم تفكر قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي، فلن يخطر في بالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمد صلوات الله عليهم بل يتجه نظرها وبحثها إلى بيوت كبار أصحابه، أو بيته هو نفسه عليه الصلاة والسلام.





٣٩

فقد يخطر على ذهنهم أن يكون مكان التجمع على الأغلب في دور بني هاشم، أو في بيت **أبي بكر** رضي الله عنه، أو غيره، ومن أجل هذا نجد أن اختيار هذا البيت كان في غاية الحكمة من الناحية الأمنية، ولم نسمع أبداً أن قريشاً داهمت ذات يوم هذا المركز وكشفت مكان اللقاء.



صبيحة الحق من على جبل الصفا

الجهري بالدعوة أي العالمية (للمواجهة والاقبال)

أول خمس سنوات من البعثة

نزل القرآن على الحبيب صلى الله عليه وسلم يأمره أن يجهر بما جاءه من الحق قال تعالى: ﴿فَأُصْدِعْ بِمَا تُمَمَّرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

فقام الحبيب صلى الله عليه وسلم ليصدع بالدعوة وأصبحت المواجهة حتمية بين المؤمنين والكافرين. ونزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

فبدأ الحبيب صلى الله عليه وسلم بدعوة أهله من بني هاشم فعارضه أبو لهب وتعهد أبو طالب بحمايته.





ثم بعد ذلك صعد الحبيب ﷺ ذات يوم جبل الصفا ونادى بطون قريش وجهر بدعوته فقام له أبولهب وقال له: تَبَّ لك سائر اليوم أهدنا جمعتنا فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

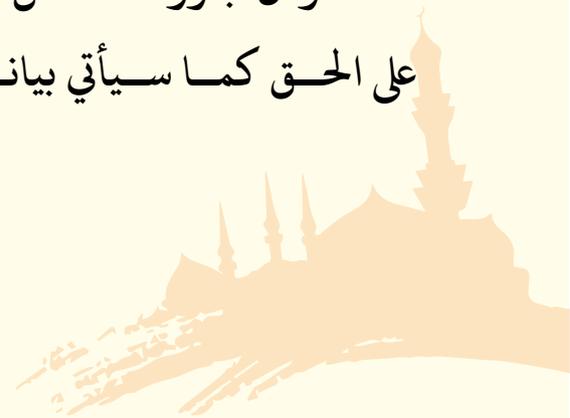


وبدا الحبيب ﷺ يدعو الناس جميعاً ويقول:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا).

وكان ﷺ يعيب الأصنام، ويذكر الناس بأنها حجارة لا تنطق، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضر.

وكان أبرز خصائص هذه المرحلة التضحية والفداء وتحمل الإيذاء والثبات على الحق كما سيأتي بيانه إن شاء الله.





من الأربعاء إلى الخامسة والأربعين من عمره الشريف

انفجرت مكة بمشاعر الغضب، حين سمعت صوتًا يجهر
بجرية العبيد وترك عبادة الأصنام، ويسوي بين الغني
والفقير، والسادة والعبيد، فلن يصبح سيد يملك عبدًا بعد
ذلك، بل سيصير الكل سواءً رأسًا برأس، فالناس في الإسلام
عبيد في مملكة الله تعالى، الذي لا فضل لغني على فقير عنده
إلا بإيمان وتقوى، لا بالمال أو الجمال، ولا بالجاه أو السلطان.



فقامت قريش تستعد لحسم هذه الثورة. وبدأت مرحلة المحنة والابتلاء
للنبي ﷺ وأول من بدأ بذلك عمه أبو لهب فعندما كانت البعثة أمر ولديه عتبة
وعتيبة بتطبيق بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم، وكان يسير خلف النبي ﷺ





في موسم الحج والأسواق لتكذيبه بل كان يضربه بالحجر حتى سال الدم الشريف من قديمي الحبيب ﷺ وكانت أم جميل زوج أبي لهب تضع الشوك والقاذورات أمام باب النبي ﷺ واتهموه بالسحر والجنون والكذب، فلم تؤثر السخرية والاستهزاء بالحبيب ولم يتوقف عن الدعوة، فبعد أن فشلوا انتقلوا من الإيذاء النفسي إلى الإيذاء البدني فقد وصل الأمر إلى أن جاء أحد الكفار وهو عقبه بن أبي مَعِيْط فأمسك بالقاذورات المتبقية من الذبائح وألقاها على النبي ﷺ وهو ساجد عند الكعبة، فلم يستطع أن يرفع رأسه حتى جاءت ابنته الصغيرة **فاطمة** فأخذته عن ظهره وهي تبكي وقد سالت دموعها على خديها، **فقال في صبر المؤمن وثقتة بربه:** لا تبكي يابنتي، فإن الله ناصر أباك .

ومرة أخرى حاول أن يقتل النبي ﷺ وهو يصلي ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً وتفعل في وجه النبي ﷺ فجاء **أبو بكر** مسرعاً ودفع المشركين بعيداً عن النبي ﷺ وقال: **﴿أَنْقَتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾** [غافر: ٢٨].

أما الصحابة فكانت ألوان العذاب تنزل على رؤوسهم بلا رحمة، ويكفي أن نعلم أن أسرة واحدة قد قتل منها الوالدان وظل الابن يعذب بالضرب والإحراق تارة، وبالحر





٤٣

ووضع الصخر على صدره أخرى، وبالتغريق حتى نطق بكلمة الكفر، فأتى إلى النبي ﷺ وهو يبكي، تلك أسرة (آل ياسر) لقد قتل أبو جهل سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر وهي أول شهيدة في الإسلام، ثم لحق بها زوجها بعدها بعدة أيام.

أما بلال بن رباح فقد كان عبدًا رقيقًا وكان سيده أمية بن خلف يربطه بجبل في عنقه ويأمر الصبيان يلهون به ويطوفون به جبال مكة حتى إذا جاء وقت الظهر طرحوه على الأرض ووضعوا فوق صدره صخرة كبيرة وجروه على الأرض ولكنه لم



يكن يهتم بل كان ينادي بأعلى صوته: **أهد أهد**.

اشتد تعذيب الكفار للمسلمين، كانوا يريدون أن يردوهم عن دينهم، وكان المسلمون لا يزدادون بذلك إلا إيمانًا و يقينًا، وعندما فشلت قريش أن ترد الحبيب ﷺ وأصحابه عن دينهم عرضوا عليه الرشوة من الأموال والزعامة لكنه رفض ﷺ.



السنة الخامسة من البعثة

كان الحبيب ﷺ في الخامسة والأربعين من عمره الشريف

الهجرة الأولى: وفي رجب سنة خمس من النبوة وبعد أن نزلت سورة الزمر تشير إلى اتخاذ سبيل الهجرة فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُوارِ بَكْمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ٤٠].

ولما رأى الحبيب ﷺ ما يُصيب أصحابه من البلاء قال لهم: (لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضٌ صِدْقٍ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا) فهاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة وكانوا اثني عشر رجلاً وأربع نسوة أميرهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ.





٤٥

كان الرحيل إلى الحبشة تسلاً في ظلمة الليل - حتى لا تستيقظ قريش لأمرهم -
خرجوا إلى البحر، وقبضت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة،
وفطنت لهم قريش، فخرجت في آثارهم، لكن لما بلغت إلى الشاطئ كانوا قد
انطلقوا آمنين، وأقام المسلمون في الحبشة في أحسن جوار.

حتى وصلت إليهم أخبار كاذبة أن قريشاً أسلمت، فرجعوا إلى مكة في شوال
من نفس السنة، فلما وصلوا مكة عرفوا حقيقة الأمر رجوع منهم من رجوع إلى
الحبشة، ولم يدخل في مكة من سائرهم أحد إلا مستخفياً، أو في جوار رجل من
قريش .

الهجرة الثانية: ثم بعد ذلك استعد

المسلمون للهجرة مرة أخرى وهاجر من الرجال
ثلاثة وثمانون رجلاً وثمانية عشر أو تسع عشرة
امرأة.



ثم بعد ذلك اشتدت قريش في التعذيب ومحاولة القضاء على الحبيب ﷺ .



السنة السادسة من البعثة

كان الحبيب ﷺ في السادسة والأربعين من عمره الشريف

وفي هذه السنة وفي هذا الجو الملبد بالغيوم والظلم حدث أمران عظيمان وهما:

إسلام **حمزة بن عبد المطلب** ﷺ عم رسول الله ﷺ وهو أسد الله ورسوله وكان قويًا شجاعًا في قومه .

وبعدها بثلاثة أيام وبينما قريش حزينه تكاد تموت غيظًا من إسلام حمزة، لم يفجأهم إلا نبأ آخر أشد حزنًا فقد أسلم **عمر بن الخطاب** ﷺ فكان إسلامه فتحًا للمسلمين،

قال عبد الله بن مسعود:

(مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ). رواه البخاري





المقاطعة الجماعية (ثلاثة أعوام في الشعب)

من السابعة إلى العاشرة من البعثة

كان الحبيب ﷺ في السابعة والأربعين من عمره الشريف.



وفي هذه السنة تحالفت قريش علي بني هاشم وبني عبد المطلب على ألا يشتركون منهم شيئاً ولا يبيعوا لهم شيئاً، ولا يتزوجوا من بني هاشم ولا يزوجونهم، ولا يجالسونهم ولا يكلمونهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ (١) ليلقتلوه وكتبوا بذلك صحيفة واشتد الحصار حتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نساءهم وصبيانهم يبكون من الجوع، وقد استمرت المقاطعة ثلاث سنوات كان طعام المسلمين فيها أوراق الشجر والمسلمون صابرون حتى أرسل الله الأرضة علي الصحيفة فأكلتها إلا ذكر الله فأخبر الحبيب ﷺ بذلك عمه وأخبرهم.

(١) الشعب بكسر الشين: هو الطريق بين الجبلين.



ونقضت الصحيفة وخرج الحبيب ﷺ وأصحابه من الشعب .

وهكذا مرت مهنة من أشد ما عاناه المسلمون في بداية الدعوة إلى الله .

فكان رجالها من الجيل الفريد الذي اصطفاه الله لحمل راية التوحيد، فصبروا على ما أذوا، وتحمل معهم نبيهم جزءاً من الابتلاء ثم أنعم الله عليهم بالعزة والتمكين، وإليك بعض حكم الابتلاء وفوائده:

١. تصفية الصنف.

٢. تربية حياة المسلم.

٣. الكشف عن غبايا النفوس.

٤. الإعداد الحقيقي لعمل الأمانة.

٥. معرفة حقيقة النفس.

٦. رفع المنزلة والدرجة عند الله، وتكفير السيئات .





عام الحزن

العاشر من النبوة

❁ كان الحبيب ﷺ في الخمسين من عمره الشريف

انتهى الحصار الذي دام ثلاث سنوات، وأنهك الصحابة وغيرهم بما فيهم عم النبي ﷺ وأم المؤمنين السيدة **خديجة** - رضي الله عنها - اللذان لم يستطيعا مقاومة المرض لشدته وكبر سنهما .

فمات أبو طالب الذي كان يدافع عن الحبيب ﷺ وينصره ، وكان حصناً للدعوة الإسلامية احتمت به من هجمات الكفار والسفهاء، فنالت قريش رسول الله ﷺ بأذاها مالم تطمع به في حياة أبي طالب.

ولم تكن المصيبة في موت عمه فحسب بل كانت المصيبة في أنه مات كافراً مع أن النبي ﷺ كان يتابعه بالدعوة حتى آخر لحظة في حياته، فعن المسيب قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبَدَ اللَّهُ بِنِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً





أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبَدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ،
أَتَرَعْبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ
تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبِي
أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَمَّا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ
عَنكَ)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى
قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١) [القصص: ٥٦]

وما كاد الحبيب ﷺ يخلع ثوب الحزن على عمه حتى فُجع بموت زوجته وشريكة
عمره **خديجة** رضي الله عنها التي آزرته ونصرته وواسته بنفسها ومالها، وقاسمته
الأذى والهموم فكانت نعم الزوجة الصابرة، وهكذا يجب أن تكون المرأة مع زوجها
فلا تتخلي عنه وقت الأزمات.

بل يجب عليها أن تشاركه الحياة بجلوها ومرها بنفس مطمئنة، بغير ضجر
كما تفعل بعض النساء.

(١) متفق عليه: رواه البخاري، ومسلم.





حزن النبي ﷺ لوفاتها حزناً شديداً.

أما الكفار ففرحوا وفرحاً شديداً لأن الحماية قد زالت عن النبي ﷺ ويستطيعون الآن أن يفعلوا به ما يشاءون، وفعلاً اشتد الأذى بالحبيب ﷺ بعد موت عمه وزوجه. وعام الحزن على ما فيه من الألم إلا أنه يدل على لطف الله بنبيه ورحمته به؛ فلقد أراد الله أن يجعل نبيه ومصطفاه؛ لا يعتمد إلا عليه، فكما رعاه الله في صغره، فإنه سيرعاه في كبره ويعصمه من الناس.

وعام الحزن يدعو المؤمنين أيضاً إلى التحمل والصبر على الشدائد والملمات، وبذل المزيد من الجهد لرفعة الإسلام، فهو يحتاج إلى رجال صدقوا مع أنفسهم وربهم. وطريق الدعوة مليء بالعقبات والابتلاءات، ولا يعين السائر فيه على تخطي الصعاب إلا بالثقة بنصر الله، وباليقين أن العاقبة لهذا الدين.

وإن الإيمان إذا خالط القلوب؛ فإنه يحول الخوف أمناً وسكينة، وأن الداعية إذا علم الله صدق نيته، فإنه يهيئ لدعوته قلوب عباده المخلصين فتتلقاها، وتضحى في سبيلها بكل غال ونفيس.





البحث عن مكان جديد للدعوة

بعد أن فقد الحبيب ﷺ عمه أبا طالب وزوجه **هدية** اللذين كانا عونًا له على قومه، بدأ الحبيب ﷺ يفكر في مكان آخر للدعوة غير مكة فخرج الحبيب ﷺ إلى الطائف وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلًا [أي قرابة: ٩٦ كيلومتر] سارها ماشيًا على قدميه ذهابًا وعودة، حتى لا تشك قريش في ذهابه إلى مكان بعيد، فتراقبه أو تمنعه، فذهب إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف **وهم**: عبد ياليل ومسعود وحبيب فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وإلى نصرته الإسلام. **فقال أحدهم**: هو يَمْرُطُ ثياب الكعبة [أي يمزقها] إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر: أما وَجَدَ اللهُ أحدًا غيرك.

وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولًا لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك .





فرفضوا دعوة الحبيب ﷺ فقال لهم إن أبيتم الحماية والإسلام فلا تخبروا قريشاً
أني جئت أستعين بكم عليهم، فأبوا إلا أن يخبروهم.

فقال لهم ﷺ: إن أبيتم الحماية وأبيتم إلا أن تخبروا قريشاً فدعوني أرحل.

فقالوا: والله لن تخرج حتى ترجم بالحجارة لكي لا تعود إلى هنا أبداً، فاصطف أهل
الطائف صفيين وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويرمونهم بالحجارة حتى
اختضب نعلاه بالدماء وهو يجري بحثاً عن مكان آمن يختبئ فيه فدخل بستاناً صغيراً
لعتبة وشيبة ابني ربيعة فلما رأى عتبة وشيبة ما أصاب محمداً ﷺ من جهد وتعب
والدماء تسيل منه: رقاله، وتحركت فيهما نخوة الكرم، فأبي مشهد كان عليه ﷺ حتى
يؤثر في نفوس الكفار بل إن عتبة وشيبة كانا من أشد الكفار عداوة له ﷺ فأرسلا
إليه عبدهما عداًساً، **وقالا له:** خذ قطعاً من العنب، واذهب به إلى هذا الرجل .

فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ مديده إليه قائلاً: **بسم الله** ثم أكل .

فقال عداس: هذا كلام غريب لا يعرفه أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ:

من أي البلاد أنت؟

قال: من نينوى.





فقال رسول الله ﷺ: من بلد الرجل الصالح يونس بن متىّ.

قال له: أوتعرف يونس بن متى؟

قال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي . فأقبل عداس على رأس رسول الله ويديه ورجليه يقبلها، وأعلن إسلامه .

فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء

عداس قال له: ويحك ما هذا؟

قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي.

قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفك عن دينك، فإن دينك خير من دينه .

ورجع رسول الله ﷺ في طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيباً محزوناً كسير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه **جبريل** ومعه ملك الجبال، يستأمره أن يطبق الجبلين على أهل مكة .

وقد روى البخاري تفصيل القصة - بسنده - عن **عائشة** - رضي الله عنها - أنها

قالت للنبي ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ

قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ



عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ
فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَانظَرْتُ
فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ
وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ
عَنِّي ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ
بِهِ شَيْئًا. [رواه البخاري: ٣٢٣١، مسلم: ١٧٩٥]

هكذا كانت الرحمة في قلب الحبيب ﷺ لمن حوله وإن كان كافراً، ولا عجب في ذلك فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

وبعد كل العناء الذي لقيه الحبيب ﷺ في ذلك اليوم، لم يتخل عن قيام الليل، كان مجهداً ومتعباً لكنه قام يصلي لله في جوف الليل فمر به نفر من الجن الذين ذكرهم الله ﷻ في سورة الأحقاف ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٠]. وهم من





جن نصيبين^(١) وكانوا سبعة نفر فأسلموا وحملوا رسالة الله إلى قومهم منذرين.

وفي سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى

الرُّشْدِ فَأَمَنَّا بِهِ ۗ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۗ﴾ [الجن: ٢٠].

وهكذا انتهت رحلة الطائف وكانت من أصعب المواقف التي تعرض لها الحبيب ﷺ.

وإذا كان النبي ﷺ خلال هذه الرحلة رجع بإسلام شخص واحد، فهذا درس للدعاة بعدم

القنوط من رحمة الله وعلى المرء أن يعمل ولا ييأس ويدع النتائج لله ﷻ.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

الحبيب ﷺ اختار الطائف، وأراد الله المدينة.

الحبيب ﷺ اختار الإنس، وأراد الله الجن.

الحبيب ﷺ اختار كبار الطائف، وأراد الله عداًساً.

(١) نصيبين: مدينة بالشام.





أعظم رحلة في التاريخ

رحلة الإسراء والمعراج

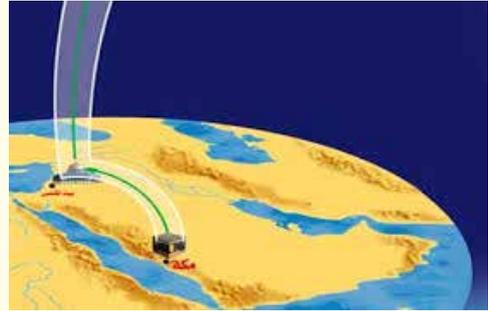
نعم أعظم رحلة عرفت في البشرية، إن كان أهل الأرض لا يريدونك فأهل السماء ينتظرونك.

سمع أهل مكة بما حدث للحبيب ﷺ بالطائف ففرحوا فرحاً شديداً وأظهروا الشماتة به، وقالوا لا

يمكن أن يدخل مكة مرة أخرى وليبحث له عن ملجأ آخر.

وأحس الحبيب ﷺ بما ينويه أهل مكة، وأنهم سيمنعونه من دخول مكة فأرسل إلى مطعم بن عدي أحد أشرف العرب ليطلب الحماية منه فوافق، ودخل الحبيب ﷺ مكة وطاف بالكعبة قبل أن يعود إلى بيته.

وفي ظل هذه الأحزان الشديدة والآلام التي تعرض لها الحبيب ﷺ من حصار ثلاث سنوات وبعد فقد عمه وفقد أم المؤمنين **خديجة** وبعد العودة من الطائف وما حدث فيها، جاء





المدد والنور الإلهي يضيء حياة النبي ﷺ جاء الاستدعاء الإلهي للحبيب ﷺ لرحلة غريبة رحلة طويلة تتم في لحظات، جاء جبريل ﷺ بالراحلة من الجنة، دابة اسمها البراق وبدأ الحبيب ﷺ رحلته من المسجد الحرام إلى بيت المقدس في فلسطين، راكباً البراق في صحبه **جبريل ﷺ** وعندما وصل قام بربط البراق معلماً إيّانا الأخذ بالأسباب والتوكل على الله، ثم دخل الحبيب ﷺ المسجد الأقصى ليلاً فوجد الأنبياء مجتمعين فصلى بهم .

وبعد أن انتهت رحلة الإسراء بدأت رحلة المعراج، ويألها من رحلة عظيمة يعجز القلم عن وصفها، فقد عُرج به تلك الليلة من المسجد الأقصى إلى السماء الدنيا، ثم للتي تليها، ثم الثالثة، ثم إلى التي تليها، ثم الخامسة، ثم التي تليها، ثم السابعة . ورأى عندها **جبريل** على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح. قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ النجم: ١٣-١٤** ﴾ وكلمه ربه وأعطاه ما أعطاه . **أعطاه الصلاة** فكانت قرة عين رسول الله ﷺ ثم عاد ﷺ وكان ذلك في جزء يسير من الليل .

رجع الحبيب ﷺ من رحلة الإسراء والمعراج وعندما أصبح الصباح خرج إلى المسجد واجتمع إليه الناس يسمعون منه .





وقد أعلن الحبيب ﷺ بينهم أنه أسرى به إلى المسجد الأقصى في فلسطين، وهنا استغرب الكثيرون كيف حدث ذلك؟!

فاشتد تكذيبهم له، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاه الله له حتى عاينه، وجعل يخبرهم به . ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئاً، وأخبرهم عن غيرهم التي رآها في مَسْرَاهِ ومرجعه، وعن وقت قدومها، وعن البعير الذي يقدمها. فكان كما قال. ولكن لم يزداهم ذلك إلا عناداً،

وكان ما أراد الله للإسراء برسوله، من فتنة للناس وابتلاء لمن آمنوا منهم، وللذين أسلموا ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، فارتدَّ ناسٌ ممن كانوا آمنوا بالنبى ﷺ وصدقوه، وحقق الإسراء آيته: فتنة وابتلاءً وتمحيصاً واستصفاً للإسلام جنده المخلصين، ممن صح إيمانهم وصدق عقيدتهم.

وصدق الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].





أسلوب جديد في الدعوة

كاهن الحبيب ﷺ يأتي في موسم الحج كل عام، يتبع الحجاج في منازلهم، وفي سوق عُكاظ وذِي الْمَجَازِ وغيرهما من الأسواق، يدعوهم إلى الله ويعرض نفسه على القبائل طالبًا نصرتهم حتى يبلغ دعوة ربه وكان يتبعه في كل مرة عمه أبو لهب ويقول لا تصدقه إنه كاهن إنه ساحر إنه مجنون ويأمر القبائل أن لا تطيعه بل كان يضربه بالحجارة حتى سال الدم الشريف من قدمي الحبيب ﷺ.



ورغم كل ما حدث لم يتوقف ﷺ عن الدعوة ولم يعرف اليأس يومًا طريقًا إلى قلبه ﷺ فقد كان حريصًا على هداية الناس جميعًا وكان يتمنى أن يأخذ بأيدي كل الناس إلى الجنة.





السنة الحادية عشرة من النبوة

كان الحبيب ﷺ في الحادية والخمسين من عمره الشريف.



في موسم الحج سنة ١١ من النبوة التقى الحبيب ﷺ بستة من شباب الخزرج عند مكان يُسمى (العقبة) فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الإسلام فأسلموا جميعًا ورجعوا إلى المدينة حاملين رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيه ذكر رسول الله ﷺ.





السنة الثانية عشرة من النبوة

كان الحبيب ﷺ في الثانية والخمسين من عمره الشريف

بيعة العقبة الأولى^(١) :

تاريخها: السنة الثانية عشرة من النبوة.



أحداثها: التقى الحبيب ﷺ في موسم الحج بوفد من أهل يثرب وكان عددهم اثنا عشر رجلاً من الأنصار فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد التقوا برسول الله ﷺ في العام السابق.



بايعوا الحبيب ﷺ على: ترك الشرك وعبادة الأصنام وعلى الإيمان والطاعة، ووعدهم الحبيب ﷺ بالجنة إن عاشوا على الإيمان والطاعة.



نتائجها: أرسل الحبيب ﷺ معهم مصعب بن عمير ليعلمهم أمور دينهم فكان أول سفير في الإسلام، وبارك الله له في سفره فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون.



(١) البيعة: هي عهد أو اتفاق يتعهد فيه الناس لشخص ما بأمر معين كالحماية أو الجهاد مثلما حدث مع الحبيب ﷺ .



السنة الثالثة عشرة من النبوة

كان الحبيب ﷺ في الثالثة والخمسين من عمره الشريف

بيعة العقبة الثانية:

تاريخها: السنة الثالثة عشرة من النبوة.



أحداثها: في موسم الحج في هذا العام حضر لأداء مناسك الحج من أهل يثرب سبعون رجلاً وامرأتان.



وفي ظلمة الليل تسلل أهل يثرب إلى العقبة والتقوا بالحبيب ﷺ سرًا في الشعب الذي عند العقبة.

بايعوا الحبيب ﷺ على: أن يحموه وينصروه إن هاجر إليهم.



نتائجها: بايعهم الحبيب ﷺ وقال لهم: أَنَا مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مِنِّي.



ثم أذن الحبيب ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا فرارًا بدينهم وهروبًا





من الفتن والابتلاءات، تركوا الديار والأموال والأهل والأصحاب وفارقوا
الأوطان حتى يفوزوا برضوان الله وجنته .

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ: أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ وَزَوْجَهُ أُمُّ سَلَمَةَ وَلَكِنْ 
أهلها احتبسوها ومنعوها من الهجرة .

وأخذ أهل زوجها ابنها سلمة وتجاذبوه حتى خلعوا يده، وظلت تبكي على فراق ابنها وزوجها
قُرابة سنة حتى رآها رجل من أبناء عمها فحزن لبكائها وذهب إلى أهلها وقال لهم أما ترحمون هذه
المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقي بزوجك وعند ذلك قام أهل زوجها
وردُّوا إليها ولدها سلمة فأخذته وهاجرت إلى المدينة وجمع الله شمل الأسرة مرة أخرى .

فانظر إلى صبر أم سلمة وتضحيتها، وقد كافأها الله بعد وفاة زوجها بأن زوجها
رسول الله ﷺ .

هجرة صُهَيْبِ بْنِ سَنَانَ الرُّومِيِّ وَمَوْقِفِ قُرَيْشٍ مِنْهَا: حِينَ أَرَادَ الْهِجْرَةَ إِلَى 
الْمَدِينَةِ قَالَ لَهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: أَتَيْتَنَا صُعْلُوكًا، فَكَثُرَ مَالُكَ عِنْدَنَا، وَبَلَغْتَ مَا
بلغت، ثم تريد أن تخرج بنفسك ومالك، والله لا يكون ذلك .





فَقَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ مَالِي أَتُخَلُّونَ سَبِيلِي؟

فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُمْ مَالِي، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ .

فَقَالَ: رِبْحَ صُهَيْبٍ، رِبْحَ صَهَيْبٍ .



هجرة الفاروق: لقد هاجر أصحاب الحبيب ﷺ إلى المدينة سرًا إلا **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه فإنه لما هم بالهجرة أخذ سيفه ورمحه ومضى نحو الكعبة فوجد المشركين جالسين عندها فطاف بها سبعًا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف **وقال للمشركين:** من أراد أن يفقده أمه أو ييتم ولده أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فأني مهاجر فما تبعه أحد .

وهكذا لم يبق في مكة سوى الحبيب ﷺ **وأبي بكر** و**علي بن أبي طالب** ومن منعتهم قريش من الهجرة .





وهنا سؤال: لماذا لم يهاجر الحبيب ﷺ إلى المدينة بعد البيعة مباشرة
ولماذا تأخرت هجرته؟.



والجواب: أن الحبيب ﷺ رسول من عند الله ولم يفعل إلا ما يأمره الله
به ولم يكن قد تلقى من ربه الإذن بالهجرة ولذلك انتظر حتى أمره الله.
كما أنه أراد أن يكسب للإسلام أناسًا كثيرين من أهل مكة إشفاقًا عليهم من
عاقبة الكفر.

وقد أراد ﷺ أن يطمئن أولًا على أتباعه فلا يتركهم يقاسون من التعذيب وهذا
من صفات القائد الناجح الذي يؤمن جنوده ويحافظ عليهم.
وعندما تلقى الحبيب ﷺ الأمر من ربه بالهجرة خرج من بيته دون أن يخشى
أحدًا لأنه يعلم أن الله سينصره.





برطان قريش

السنة الرابعة عشر من البعثة والأولى بعد الهجرة

كان الحبيب ﷺ في الرابعة والخمسين من عمره الشريف.



أحست قريش بأن مكة قد خلت من المسلمين، كما أن بعض جواسيسها عرفوا بخبر إسلام أهل يثرب، فجن جنونهم لما رأوا أن المسلمين وجدوا دار حفظ ومنعة، ورأوا في هجرتهم واجتماعهم بيثرب خطراً على دينهم وكيانهم وتجارتهم، فاجتمعوا في (دار الندوة⁽¹⁾) وعقدت جلسة طارئة ليتدارسوا كيف يقضون على دعوة النبي ﷺ؟

وعقدت هذه الجلسة برئاسة عمرو بن هشام المعروف بأبي جهل، وقد حضر الجلسة وجوه بارزة من سادة قريش وجدير بالذكر أن إبليس عليه لعنة الله قد حضر الجلسة حيث جاء في صورة شيخ من أهل نجد بعد أن استأذنهم.

(1) دار الندوة: هي دار كانوا يتشاورون في أمورهم فيها.





ويقف الآن أبو جهل ليقدم هذه التوصية إلى المجلس **فيقول**: إذا أردتم الحديث في شأن محمد فتحدثوا سرًا حتى لا يسمع إله محمد ما تقولون فيخبر به محمدًا! قال الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المُلك: ١٣]. أي اعملوا ما شئتم واصنعوا ما بدا لكم: ﴿إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ لا بالأقوال التي تنطق بها الألسنة وإنما عليم بخفايا الصدور التي لم تنطق بها.. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المُلك: ١٤].

يا أبا جهل إن الله يدري كل ما تضرر *** يعلم ما تخفي وما تظهر

وإن خدعت الناس لم تستطع *** خداع من يطوي وينشر.



افتتحت الجلسة وطُرحَت القضية على المجتمعين، فقام أحد الحاضرين في المجلس **وقال**: اقترح أن نخرجه من أرضنا، ونصلح أمرنا، ولا نبالي أين ذهب فإذا فارقنا كفيينا شره.

لكن الشيخ النجدي قام معترضًا على هذا الاقتراح، **وقال بئس الرأي ما رأيت** **يا هذا؟** إننا إذا نفينا محمدًا خارج مكة، فهو أينما حل وحيثما كان ستنتشر دعوته





إنكم ترون حسن حديثه وحلاوة لسانه وغلبته على قلوب الرجال .

فقال آخر وقال: أما أنا فاقترح أن توضع القيود في يد محمد وأن يجبس حتى يموت.

فقال الشيخ النجدي: والله لئن حبستموه ليخرجن أمره إلى أصحابه، وهم يفضلونه على الآباء والأبناء، وقد يأتي أهله من بني هاشم ليفكوا أسرته، فانظروا في غير هذا الرأي.

اقتراحه فاشلان، وهنا قام الطاغية فرعون هذه الأمة أبو جهل **فقال:** إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد، نأخذ من كل قبيلة رجلاً ويضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، فيتفرق دمه بين القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلها، أو يقيموا له قصاصاً.

عندئذ هز الشيخ النجدي رأسه عجباً وطرباً وقال: نعم الرأي رأيك يا أبا الحكم .

رأي عبقرى ورأي صائب، يكفي أنه رأي أبي جهل ذلكم الرجل الذي لو وُزعت قسوة قلبه على أهل الأرض ما بقي للرحمة من سبيل في قلب أحد، كان أبوجهل إذا تكلم ترى الجهل كله في كلامه وترى الغشم في حديثه، رجل عشن الشيطان في رأسه .





بعد ذلك أخذت الأصوات على رأي أبي جهل فكانت النتيجة موافقة بالإجماع، الكل وافق على رأي أبي جهل، هذا الرأي الذي لم يخطر ببال إبليس نفسه، وعندئذ طويت الصحف وجفت الأقلام ورفعت الجلسة جلسة الغدر والدسيسة، ولم يكن في الجلسة آنذاك مندوب من قبل الرسول ﷺ ولكن كل ما حدث مدون في آية واحدة من كتاب الله قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ويقول سبحانه: ﴿أَمْ أَلْمَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٧٩-٨٠].

وينزل **جبريل** ﷺ ويخبر الحبيب ﷺ بمؤامرة قريش ويخبره بالإذن له في الهجرة.





تخطيط النبي ﷺ للهجرة



☑ بعد أن نزل جبريل ﷺ على الحبيب ﷺ وأخبره بمؤامرة قريش ذهب الحبيب ﷺ إلى أبي بكر في نفس اليوم نحو الظهيرة حين يستريح الناس في بيوتهم،
وقال له: إن الله قد أذن لي في الخروج وطلب منه راحلتين للسفر.
فقال أبو بكر: (يا رسول الله الصحبة) قال: (نعم).

فبكى أبو بكر الصديق من شدة الفرح .

وهنا تأمل!! فموقف الصديق يؤكد على أنه لم يعرف موعد الهجرة، أو أنه سوف يهاجر في صحبة الحبيب ﷺ؟



إنه الكتمان، (اسْتَعِينُوا عَلَيَّ قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ لَهَا).

واستأجر عبد الله بن أريقط الليثي ليكون دليلاً لهما في الطريق، وكان هادياً أميناً ماهراً بالطريق، رغم أنه كان على دين قريش .





وواعدہ جبل ثور بعد ثلاث لیل .

وكله الحبيب ﷺ كلامه:

عبد الله بن أبي بكر بتبع أخبار المشركين .

أسماء بنت أبي بكر بإحضار الطعام لهما .

عامر بن فهيرة برعي الأغنام حول الغار ليخفي آثارهما .

فجعل ﷺ دورًا للرجل وللمرأة وحتى للصبي .

ثم استمر الحبيب ﷺ في أعماله اليومية حسب المعتاد، حتى لا يشعر أحد بأنه يستعد للهجرة أو لأي أمر آخر اتقاء مما قرره قريش .

وفي نفس اليوم بالليل يأمر الحبيب ﷺ على بن أبي طالب أن يبيت في فراشه، فانظر إلى فداء علي ﷺ للحبيب ﷺ كان علي ﷺ يعلم تمامًا أنه معرض للقتل لا محالة، فإن على الباب رجالًا لا يريدون إلا رأس النائم على الفراش ورغم ذلك لم يقلق ولم يتردد.





٧٣

ثم أمر ﷺ علياً أن يرد الودائع والأمانات إلى أصحابها، وياللعجب من قوم يكذبون رجلاً ثم يأتونونه على أموالهم وودائعهم!!

وفي هذه الليلة يخرج الحبيب ﷺ من بيته فيجد المشركين مجتمعين أمام بابه يراقبونه وينتظرونه حتى ينقضوا عليه ويقتلوه، وهنا تتجلى قدرة الله فيرسل عليهم النوم فلم يشاهدوا الحبيب ﷺ وهو خارج، وتبدأ رحلة الهجرة إلى يثرب. ومضى الحبيب ﷺ مع أبي بكر بعيداً، وكان **أبو بكر** يمشي أمام الحبيب مرة وخلفه مرة وعن يمينه مرة وعن يساره مرة فتعجب ﷺ **فقال: (مالك يا أبا بكر؟) فقال: يا رسول الله أذكر الطلب - أي الكفار الذين يطاردونك - فأمشي خلفك ثم أذكر الرصد - أي الجواسيس الذين يرصدونك ويُعدون لك الكمائن - فأمشي بين يديك فقال له الحبيب ﷺ: (يا أبا بكر لو كان هناك أذى ينتظرني لأحببت أن يكون بك دوني؟) قال أبو بكر: نعم والذي بعثك بالحق، فلئن قتلت أنا فإنما أنا رجل واحد، ولئن قتلت أنت ضاعت الأمة كلها.**

ولما وصلا إلى غار ثور سبق أبو بكر رسول الله ﷺ، فنظف الغار ومسحه بثوبه، وأعدده لاستقبال الحبيب ﷺ واختبئاً فيه ثلاث ليال، ولقد حفظتهم عناية





الله من أعين المشركين عندما وصلوا إلى الغار فلم يستطيعوا رؤيته هو وصاحبه
 قال تعالى ﴿إِلَّا نَنْصُرْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي
 الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَكُونُ لَمَعْنًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدَاهُ يَجُودٌ
 لَمْ تَرَوهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٤﴾ [التوبة: ٤٠].

ثم أتى إليهما الدليل وسار في طريق غير طريق القوافل حتى وصل بأمان.

نجحت خطة الحبيب ﷺ للهجرة بسبب عدة عوامل وهي:

01 توفيق الله وعنايته بالحبيب ﷺ .

02 التخطيط الجيد للأمر .

03 السرية التامة .

04 اختيار القادرين على تنفيذ المهام .

وهنا يعلمنا الحبيب ﷺ الأخذ بالأسباب مع حسن التوكل على الله .





الحبيب ﷺ في المدينة



وفي المدينة كاد القلق يفتك بالمسلمين، فهم يتربقون وصول الحبيب ﷺ إنهم يخرجون كل يوم وليلة ينتظرون رسول الله ﷺ وأبا بكر، ثم يعودون، ودام ذلك أربعة أيام متتالية وفي اليوم الخامس وكان يوم الجمعة خرجوا ينتظرون رسول الله ﷺ وأبا بكر، ولا زالت الأوهام تطاردهم، فربما استطاع المشركون قتل رسول الله ﷺ أو العثور عليه، وبينما هم كذلك فإذا بيهودي كان على نخلة له، فرأى النبي ﷺ، **فنادى بأعلى صوته: يا معشر العرب،** هذا نبيكم الذي تنتظرون، وارتفعت صيحات التكبير في كل مكان، أبواب البيوت تفتح ويخرج الرجال والنساء والأطفال الكل خرج ليرى النور المبين، وتختلط الدموع مع الضحكات، وتوجه الجميع نحو رسول الله ﷺ فإذا بالمؤمنين الذين رأوا رسول الله ﷺ بقلوبهم من قبل يرونه الآن بعيونهم، وأقبل بعض الأنصار الذين لم يروا رسول الله ﷺ على أبي بكر معتقدين أنه النبي فأمسك بعضهم بناقته





فأدرك أبو بكر ذلك فخلع عباءته وظلل بها على الحبيب ﷺ ليدلهم على رسول الله ﷺ بكل أدب وأخلاق عالية .

ثم ساروا وكلما مرّوا على بيت من بيوت الأنصار أمسكوا بزمام الناقة، **وقالوا:** هَلُمَّ يا رسول الله إلى القوة والمَنعة والسلاح، فكان يتمنى كل واحد منهم لو نزل عنده رسول الله ﷺ .

والنبي ﷺ بذوقه العالي وحكمته لا يجب أن يغضب أحداً فيقول: **(دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ)** أي أنها تسير بأمر الله ولن تقف إلا في المكان الذي أَراده الله سبحانه .



فلم تنزل ناقته سائرة، حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم، فبركت. ولم ينزل عنها، حتى نهضت وسارت قليلاً. ثم رجعت وبركت في موضعها الأول. فنزل عنها. وذلك في بني النجار، أخواله ﷺ. وكان من توفيق الله لها. فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم. فجعل الناس يكلمونه في النزول عليهم . وبادر أبو أيوب الأنصاري إلى رحله، فأدخله



بيته .





77

فجعل رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ الرَّجُلَ مَعَ رَحْلِهِ حَيْثُ كَانَ) فنزل الحبيب ﷺ ضيفاً عليه وكان منزله من طابقين فاختر الحبيب النزول في الدَّوْرِ الأسفل من دار أبي أيوب ليكون أريح لزائريه، ولكن لم يرض أبو أيوب ﷺ بذلك كرامة لرسول الله لما يمكن أن يصيبه من التراب الذي يُجْدِثُه وطء الأقدام، فاعتذر منه ﷺ لأنه سيزوره أناس كثيرون ويستحي من أن يمرؤا على زوج الأنصاري فأقام ﷺ في الطابق الأسفل وأهل الأنصار في الطابق الأعلى لا يكادون يحدثون صوتاً بأقدامهم حرصاً على راحة النبي ﷺ ومن فرط الحذر كسرت زوجه جرّة ماء بالليل فكاد الماء يتسرب إلى أسفل، فلم تجد غير لحاف لا يملكون غيره لتجفف به الماء خوفاً أن يتأذى به رسول الله ﷺ وظلا طيلة الليل البارد بلا غطاء، حقاً إنها محبة تفوق الخيال.



كيف أسس ﷺ للإسلام دولة؟

بدأت مرحلة جديدة للدعوة الإسلامية بدخول الحبيب ﷺ في المدينة فقد أصبح للمسلمين مكان آمن يمارسون فيه شعائر دينهم دون خوف .

بدأ الحبيب ﷺ في بناء المسجد النبوي حتى يكون مجتمعاً وملتقى لصحابة رسول الله ﷺ.

وكان الحبيب ﷺ يعمل معهم في بناء المسجد فكان يحمل الأحجار والطوب حتى امتلأ جسمه وشعره بالتراب وأبى إلا أن يساعدهم في تأسيسه.

انتهى الحبيب ﷺ من بناء المسجد وكان الركن الأول من أركان بناء دولة الإسلام:

فكان المسجد داراً للعبادة، كالصلاة .



٧٩

وكان مدرسة لتعليم مبادئ الإسلام، فكان الحبيب يجلس مع أصحابه يعلمهم ويعظهم وينصحهم ويوجههم إلى الخير.



وكان المسجد أيضاً مقراً للحكم، وفيه كان يوزع الغنائم ويرسل الجيوش للقتال في سبيل الله.



ولما بنى الحبيب ﷺ المسجد لم يكن له منبر يخطب عليه فكان الحبيب ﷺ يخطب على جذع نخلة، فجاءت امرأة من الأنصار وكان لها ولد يعمل نجاراً، فاستأذنت رسول الله ﷺ في صنع منبر يخطب عليه ﷺ فصنع الغلام المنبر.



وفي الجمعة التالية وضع الصحابة الجذع جانباً وجعلوا المنبر الجديد مكانه فصعد الحبيب ﷺ ليخطب عليه، فسمع أهل المسجد جميعاً صوتاً لجذع النخلة، كأنه صوت النّاقة التي تلد، فنزل الحبيب ﷺ واحتضن الجذع فسكت الجذع فقد كان حزيناً لفراق الحبيب ﷺ.





المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وكما ربط الرسول ﷺ قلوب أصحابه بربهم، فإنه بعد ذلك ربط قلوبهم بعضها البعض على الحب في الله، والتعاون من أجل نصره دين الله ﷻ.

فكان الركن الثاني من أركان بناء دولة الإسلام المؤاخاة^(١) بين المهاجرين والأنصار.

المهاجرون هم المسلمون من أهل مكة وغيرهم إذ أنهم هجروا بلادهم وتركوا ديارهم فرارًا بدينهم من أعداء الله ولم يكن للمهاجرين ديار أو أموال في المدينة.

الأنصار هم المسلمون من أهل المدينة فهم الذين ناصروا الرسول وساعدوه. وهذه الخطوة لا تقل أهمية عن الخطوة الأولى في بناء المسجد لكي يتلاحم المجتمع المسلم ويتآلف وليسود الحب والتعاون بين المسلمين.

وقد استقبل الأنصار إخوانهم المهاجرين استقبالا طيبًا، وكانوا يتسابقون في

(١) المؤاخاة: هي أن يتعاقد الرجلان على التناصر والمواصاة حتى يصيرا كالأخوين نسبيًا.





تفضيل المهاجرين عليهم في بيوتهم وأموالهم والدليل على ذلك ما حدث عندما آخى الرسول ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصاري .

فعن أنس رضي الله عنه **قَالَ:** قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الْمَدِينَةِ فَأَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنَى فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ أَقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأَزْوَاجُكَ قَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُونِي عَلَى السُّوقِ ^(١) .

ولقد أثنى الله ﷻ عليهم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

واستمر هذا الوضع حتى استقرت الأمور وتمكن المهاجرون من العمل، وهكذا قام المجتمع الإسلامي في المدينة على المحبة والإخاء من أول لحظة .

ثم غير الحبيب ﷺ اسم البلد من **(يثرب)** إلى **(المدينة)** وهذا أمر عظيم، فلو بقي الاسم القديم فإن ذلك يعني أنه للأوس والخزرج، ولكن تغير الاسم يشعر بأنها وطن جديد للجميع .

(١) متفق عليه: رواه البخاري ومسلم.





مبادئ التعايش مع الآخرين

كانت المؤاخاة التي عقدها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في المدينة أساساً لتقوية المسلمين، وتوكيداً لوحدهم وألفتهم وضماناً لحياة كريمة صافية، وعيشة راضية.



وكان اليهود يقيمون بجوار المسلمين في المدينة وهم يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، وكان هؤلاء اليهود أعداء للأوس والخزرج - الأنصار قبل أن يدخلوا الإسلام - فلما دخلوا الإسلام وقوي أمرهم بمجيء إخوانهم المهاجرين ازدادت عدواتهم وحقدتهم عليهم.

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

فكان من سياسة الرسول ﷺ وحسن تدبيره أن يبدأ هؤلاء اليهود بالمودة، ويبسط لهم يد الأخوة، ويتفق معهم على التضامن والتعاون حتى تكون المدينة كلها صفًا واحدًا وقوة واحدة، وحتى لا يطمع في المدينة طامع وينال منها عدو.



٨٣

وقد كتب الرسول ﷺ معاهدة بين فيها حقوق المسلمين وواجباتهم وحقوق اليهود وواجباتهم .

وكان أساس هذه المعاهدة الأخوة في السلم، والدفاع عن المدينة وقت الحرب، والتعاون التام بين الفريقين إذا نزلت شدة بأحدهما أو كليهما.

وأن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، ومن ظلم أو أثم منهم؛ فإنه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأن ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وأن من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى.

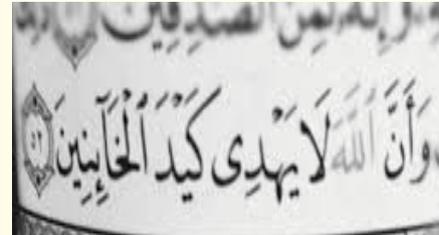
وقد دلت هذه المعاهدات الجليلة على سمو تفكير الحبيب ﷺ وحسن سياسته، فهي تقرر حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرمة المدينة، وتحريم الجرائم، وتحارب الظلم والإثم، وقد وضعها رسول الله ﷺ منذ قرابة أربعة عشر قرنًا من الزمان،



ولكن لا تزال إلى هذا العصر الذي نعيش فيه نبراساً يهتدي به الساسة والقادة إذا اضطربت الأمور وأظلم السبيل.

ولا شك أن هذه المعاهدات الخالدة كانت ذات أثر كبير في تقوية عزائم المسلمين، وحفظ المدينة من مطامع المشركين المعتدين، ولولا أن اليهود غدروا وخانوا العهد والمواثيق، وبدأوا بالعدوان على المسلمين، لما وقف رسول الله ﷺ والمسلمون منهم موقف العدا، ولظلت المدينة يغمرها الوئام والصفاء.

ولكن اليهود غدروا وخانوا وبدأوا بالعدوان، فرد الرسول ﷺ والمسلمون على إساءتهم وظلمهم بما جعلهم عبرة أمام القرون والأجيال، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمْ﴾



اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿النحل: ٣٣﴾





وبين المسلمين واليهود كان فريقاً ثالث اختار أن يكون منافقاً، أي يُظهر الإيمان ويُخفي الكفر، ولم يكن في مكة منافقون لأن المسلمين كانوا ضعفاء لا يخاف أحد منهم، ولكن بعد هجرة الحبيب ﷺ إلى المدينة أصبح للإسلام قوة تدافع عنه، وكانت هذه القوة مرهوبة، لهذا كان أعداء الإسلام في المدينة هم الضعفاء ولا يجرون على الحديث إلا سراً، كانوا يقولون كل ما في نفوسهم فيما بينهم فإذا حضر أحد من المسلمين غيروا مجرى الحديث وتظاهروا بحب النبي ﷺ والمسلمين.

هؤلاء هم المنافقون، كانوا من أشد الأعداء خطراً على المسلمين لأنهم

يتظاهرون بالإسلام،

ويجلسون بين صفوف المسلمين ويعرفون أسرارهم، ولكنهم على علاقة بالكفار

وينقلون إليهم أسرار المسلمين.



وقد بين الله للمسلمين صفات المنافقين حتى يحذروهم، ومن هذه الصفات:

الكسل عن الصلاة وتأخيرها عن وقتها.

الخوف من القتال والجبن في الميدان.

الكذب في الحديث.

عدم تحمل المسؤولية.

إظهار الشماتة بالمسلمين إذا أصابتهم مصيبة والحزن إذا أصابهم خير.





الدفاع عن الدين

السنة الخامسة عشرة من الهجرة والثانية بعد الهجرة

كان الحبيب ﷺ في الخامسة والخمسين من عمره الشريف.



ظل الحبيب ﷺ في مكة عشر سنوات كاملة يصبر على أذى المشركين وكان يأمر أصحابه بالصبر، وتحمل الأذى في سبيل الله.

وقد هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة وتركوا أملاكهم وأموالهم وديارهم للنجاة بدينهم، وأطفأ الحبيب ﷺ نيران الحرب التي دامت أكثر من أربعين سنة بين الأوس والخزرج، وبذل ما في وسعه من أجل نشر الإسلام بالحب والرفق والرحمة والسلام، ولم يلجأ الحبيب ﷺ إلى الحروب والغزوات إلا بعد أن حالت قريش بينه وبين نشر دعوته وأذته وآذت أصحابه ودبرت المؤامرات تلو المؤامرات لقتله ولهدم دعوته، وللصد عن سبيل الله، وهنا جاء الإذن من عند الله





﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنِّهِمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[البقرة: ١٩٠].

ففرض القتال على المسلمين، فقد صارت الحرب ضرورة لمقاومة كل من يسعى للقضاء على هذا الدين أو الوقوف أمام نشر فضائله ومبادئه السمحة بين الناس جميعاً.



والمعركة التي خاضها المسلمون بقيادة النبي ﷺ ضد المشركين تسمى (غزوة) وهدفها الدفاع عن الدين وحماية ونشر مبادئه بين الناس جميعاً.

أما التي جرت في حياته ﷺ ولم يشترك فيها، فكانت تسمى (السرية) وهدفها إضعاف قوة قريش الاقتصادية ليكفوا كيدهم وعدائهم وتحريضهم لليهود على رسول الله ﷺ وأصحابه بالمدينة.





غزوة بدر الكبرى

يظنُّ البعض أن غزوة بدر هي أولى غزوات الحبيب ﷺ وهذا خطأ، بل كانت (الأبواء) هي أول غزوة، ولكن غزوة بدر تعد أولى المعارك الفاصلة في الإسلام، وبداية المواجهات الحاسمة بين قريش والمسلمين، وكانت في شهر رمضان من السنة الثانية بعد الهجرة.



أولاً: سبب الغزوة:

وصلت الأنباء إلى المدينة أن قافلة ضخمة لقريش عائدةً من الشام إلى مكة تحمل لأهلها الثروة الطائلة، يقودها أبو سفيان بن حربٍ مع رجالٍ لا يزيدون عن الثلاثين أو الأربعين.

ومن أين كل هذه الأموال لقريش؟ إنها أموال المهاجرين التي أجبرهم الكفار على تركها حتى يسمحوا لهم بالهجرة فهي أموال المسلمين.





فأراد الرسول ﷺ أن يقطع الطريق على هذه القافلة ليستعيد أموال المسلمين المسلوقة، وأن يضرب قريشاً ضربة اقتصادية تقصم ظهورهم؛ لأنهم بهذه الأموال يستعينون بها على محاربة الإسلام والمسلمين.

وأراد الحبيب ﷺ أن يرسل رسالة لقريش أنه يستطيع قطع الطريق عليهم، فيخلون بينه وبين تبليغ دعوته للناس، ولم يعزم الحبيب ﷺ على أحدٍ بالخروج، بل ترك الأمر للرغبة المطلقة، ثم سار بمن أمكنه الخروج.



ثانياً: أحداث الغزوة

خرج الحبيب ﷺ ومعه ٣١٣ مقاتلاً منهم ٨٢ أو ٨٦ من المهاجرين وبقيتهم من الأنصار، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان: فرسٌ للمقداد بن الأسود، وفرسٌ للزبير بن العوام، وسبعون بعيراً يتبادل الرجالن والثلاثة على البعير الواحد، حتى رسول الله ﷺ كان له زميلان يتبادلان بعيراً.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا يوم بدرٍ كل ثلاثة على بعير، وكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ قال: وكانت عقبه النبي ﷺ (أي: جاء دورة ليمشي).





فقال أبو لبابة وعليُّ بن أبي طالب: يا رسول الله نحن نمشي عنك - ليظل راکبًا-.

وهنا تتجلى القيادة الحكيمة، والمساواة بين القائد وجنوده .

فقال ﷺ: (مَا أَنْتُمْ بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمْ).

وعندما علم أبوسفیان خروج المسلمين لأخذ القافلة، قرر تغيير الطريق الذي سيسلكه إلى طريق آخر، حتى ينجو من مواجهة جيش المسلمين، وأرسل رجلاً اسمه ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة يستنجد أهلها حتى يسارعوا إلى استنقاذ أموالهم.

واستطاع (ضمضم) هذا إزعاج البلدة كلها، فقد وقف على بعيه بعد أن قطع أنفه، وشق قميصه، وصرخ كما تصرخ النساء: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة! أموالكم مع أبي سفیان قد تعرض لها محمدٌ وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث، الغوث! .

فخرجت مكة كلها تريد حرب المسلمين وهزيمة رسول الله ﷺ، ولم يبق في مكة إلا أبو لهب عم الرسول ﷺ الذي ظل كافرًا وعدوًا للمسلمين، فأرسل رجلاً بدلاً منه، وبلغ عدد المشركين ٩٥٠ مقاتلاً، معهم ٢٠٠ فرسٍ ومعهم - المغنيات يضربن بالدف، ويغنين بهجاء المسلمين.





وقلا رأى أبو سفيان أنه قد نجا بالقافلة، كتب إلى قريش فأخبرهم وطلب منهم العودة فوصلهم الخبر وهم بالجحفة. فهموا بالرجوع؛ إلا أن أبا جهل فرعون الأمة أصرَّ على الخروج والوصول إلى بدر، **قائلًا**: والله لا نرجع حتى نأتي بدرًا فنقيم عليها ثلاثًا، **فندبح الإبل، ونطعم الطعام، ونُسقي الخمر،** وتعزف علينا الجواري، حتى تسمع بنا العرب فلا يزالون يخافوننا أبدًا، ومضت قريش في مسيرها مستجيبة لرأي أبي جهل حتى نزلت بالعدوة القصوى من وادي بدر.

أهمية الشورى في الإسلام:

نقلت الاستخبارات الإسلامية خبرين في منتهى الأهمية:

1 **الغزوة الأولى:** هروب القافلة،

2 **الغزوة الثانية:** جيش مكة على مقربة من بدر.

فالوضع خطير جدًا، وإعداد المسلمين كان قويًا جدًا بالنسبة لقافلة تجارية، لكن لاشك أنه ضعيف جدًا بالنسبة لجيش نظامي خرج مستعدًا للقتال، فلا يوجد سوى اختيار من اثنين:

إما الرجوع إلى المدينة وتجنب القتال.

وإما التقدم إلى بدر والصدام المروع.





كان النبي ﷺ لا يريد الرجوع إلى المدينة؛ لأن الرجوع له آثار سلبية كبيرة، سيشجع الكفار على التمادي في الحرب على المسلمين، فكلما رجع المسلم خطوة احتلها عدوه، ولا يستبعد مطلقاً إذا رجع الجيش المسلم أن يستمر الجيش المكي في المسير ويغزو المدينة، وعندئذ سيكون الخطر أكبر، لكن الرسول ﷺ ليس قائداً ديكتاتورياً كأبي جهل.

فالقائد الديكتاتوري يبرز فهمه دائماً لمن يقودهم، والذين من حوله يحاولون أن يفهموه أن رأيه فقط هو الرأي الصحيح، وأنه يفهم في كل شيء؛ لذلك فعليه ألا يضيع وقته ووقت شعبه في الاستشارات، لكن الرسول ﷺ لم يكن كذلك، فمع أنه أحكم البشر كان يستشير أمته في كل القضايا التي لم ينزل فيها وحى، فإذا كان هناك أمر من الله في قضية من القضايا فإنه لا يجوز للمسلمين أبداً أن يتشاوروا في تطبيق الأمر من عدمه، وإذا لم يكن هناك أمر من الله فلا بد من الشورى، وهكذا فعل الحبيب ﷺ فقد عقد مجلساً استشارياً كبيراً تبادل فيه الرأي ليس فقط مع قادة الجيش ولكن مع عامة الجيش، فقام المستشار الأول لرسول الله ﷺ أبو بكر الصديق وأيد الحرب ضد الكافرين، وكذلك قام المستشار الثاني





عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال نفس الكلام، ثم قام المقداد بن عمرو رضي الله عنه وقال كلامًا رائعًا علق عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال: شهدت من المقداد بن عمرو مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، **قال:** يا رسول الله! **امض لما أراك الله فنحن معك**، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون**، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك حتى نبلغه.



سُرَّ الرسول سرورًا عظيمًا بكلام المقداد، ولكن ما زال يطلب الاستشارة **ويقول:** **أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ!**، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم في مواقف كثيرة يكتفي باستشارة أبي بكر وعمر، **ويقول:** لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما، لكن هنا ما زال ينتظر استشارة الأنصار، فإنه لم يسمع رأي الأنصار بعد، فالأنصار قبل ذلك في المدينة أعلنوا موافقتهم على الخروج معه للقافلة، لكن الآن ليس هناك قافلة، وإنما قتال مع جيش كبير، والرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أنه لو أمر الأنصار لأطاعوه فورًا، فهم في أعلى درجات الإيمان - **رضي الله عنهم أجمعين** -.





لكن الرسول يذكر بيعة العقبة الثانية، وفيها بايع الأنصار على نصرة الرسول ﷺ إذا قدم إليهم في المدينة، ولم يبايعوه على الحرب خارج المدينة، والأمر ليس فيه تكليف إلهي الآن فيسمع الجميع ويطيع، ولكن فيه الشورى، والرسول ﷺ لا يريد أن يكره الأنصار على القتال، فشتان بين من يقاتل وهو مكره، ومن يقاتل وهو راغب في الجهاد، ولا ننسى أن الأنصار ثلثا جيش المسلمين، فهذا الطلب المتكرر للاستشارة: **أَسِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ! أَسِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ!**، لفت نظر سيد الأنصار سعد بن معاذ رضي الله عنه وكان حامل لواء الأنصار حينها، فقام **وقال:** لكأنك تريدنا يا رسول الله؟! **قال رسول الله ﷺ: أجل، قال سعد:** فقد آمننا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله! لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف عنك رجل واحد، فسر على بركة الله، فسر بذلك رسول الله ﷺ **فقال:** سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ ^(١).

(١) مصارع: أي مكان موتهم.



فِطَةُ الْحَبِيبِ ﷺ



نظم الحبيب ﷺ جنده بعد أن رأى طاعة الصحابة وشجاعتهم واجتماعهم على القتال، وخرج ﷺ ومعه **أبو بكر** يستكشفان أحوال جيش المشركين، وبينما هما يتجولان في تلك المنطقة لقيا شيخاً من العرب، فسأله رسول الله ﷺ عن جيش قريش، وعن محمد وأصحابه، فأراد ﷺ أن يأخذ من الرجل الأخبار دون أن يعرفه شخصيته الحقيقية، ولكن الشيخ اشترط عليهما أن يجبراه من أين هما؟ فقال له رسول الله ﷺ **(إذا أخبرتنا أخبرناك) فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: (نعم) فقال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به جيش المسلمين، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي فيه جيش المشركين فعلاً، ثم قال الشيخ: لقد أخبرتكما عما أردتما، فأخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: (نحن من ماء)، ثم انصرف**





النبي ﷺ وأبو بكر عن الشيخ، وبقي هذا الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟ ولكن الحبيب ﷺ كان يقصد الماء الذي هو أصل كل شيء حي .

وفي مساء ذلك اليوم الذي خرج فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر، أرسل عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والزبير بن العوام رضي الله عنه ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يستطلعون له الأخبار عن جيش قريش، فوجدوا غلامين يستقيان لجيش المشركين فأتوا بهما إلى رسول الله ﷺ **فقال لهما:** (أخبراني عن جيش قريش) **فقالا:** هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، **فقال لهما رسول الله ﷺ:** (كم القوم؟) **قالا:** كثير، قال: (ما عدتهم؟) **قالا:** لا ندري، قال الرسول ﷺ: (كم ينحرون كل يوم؟) **قالا:** يومًا تسعًا ويومًا عشرًا، **فقال رسول الله ﷺ:** (القوم ما بين التسعمائة والألف)، ثم قال لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ فذكر أعتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا جهل وأميمة بن خلف في آخرين من صناديد قريش، فأقبل رسول الله ﷺ إلى أصحابه قائلاً:

هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها.





قبل ساحة المعركة

نزل الحبيب ﷺ على أقرب ماء من بدر، وعرض الأمر على الصحابة فجاء إليه الحباب بن منذر بن الجموح **وقال**: يا رسول الله أرايت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله تعالى، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره، أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ قال رسول الله ﷺ: **بل هو الرأى والحرب والمكيدة.**



قال: يا رسول الله هذا ليس بمنزل، فامض بالناس، حتى تأتي أدنى ماء من القوم (**قريش**) فتنزله ونغور (**نهدم ونحرب**) ما وراءه من الآبار ثم تبني عليه حوضاً فتملأه ماء، ثم تقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون. اختار النبي ﷺ ذلك المنزل، وأخذ برأى الحباب بن منذر.



مقر القيادة

بعد نزول النبي ﷺ والمسلمين معه على أدنى ماء بدر من المشركين، اقترح سعد بن معاذ على رسول الله ﷺ بناء عريش^(١) له يكون مقرّاً لقيادته ويأمن فيه من العدو، وكان مما قاله سعد في اقتراحه: (يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام،

يا نبي الله، ما نحن بأشد لك حباً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، ويناصحونك، ويجاهدون معك) فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير، ثم بنى المسلمون العريش لرسول الله ﷺ.

(١) العريش: شيء يشبه الخيمة يستظل به وكان من جريد.





ساعة الصفر وبداية المعركة:



كانت الحروب قديمًا تبدأ بالمبارزة بالسيف، فخرج ثلاثة من خيرة فرسان قريش كانوا من عائلة واحدة، وهم عتبة وأخوه شيبه ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وطلبوا المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من شباب الأنصار، فقال المشركون: نريد بني عمنا، فخرج عبيدة بن الحارث، وحمزة، وعلي، فقتل حمزة شيبه وقتل علي الوليد، وبقي عبيدة يقاتل عتبة فضرب كل منهما الآخر، فكرع علي وحمزة على عتبة فقتلاه وحمل عبيدة فإذا به يموت شهيدًا بعد ذلك من آثار هذه الضربة.

الهجوم العام ودعاء النبي ﷺ على قريش:

والتقى بعد ذلك الجمعان وشعار المسلمين أحدٌ أحدٌ.

نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا فاستقبل نبي الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه (اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ) فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه





وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. [رواه مسلم: 1763]

قال العلماء: لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر رضي الله عنه كان أوثق بربه من النبي في تلك الحالة وغيرها، بل الحامل له على ذلك تقوية قلوب أصحابه، لأنهم كانوا يعلمون أنه شفيح مشقّع، مستجاب الدعوة، وكان ذلك اليوم أوّل مشهد شهدوه، فبالغ في الدعاء لتسكن نفوسهم، فلما قال أبو بكر ما قال، علم أنه قد اعتقد إجابة الدعاء، ووقوع النصر، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم. **والله أعلم.**

وهذا درس رباني مهم لكل قائد أو حاكم أو فرد في التجرد من النفس وحظها، واللجوء لله وحده، وبعد أن دعا صلى الله عليه وسلم ربه في العرش، واستغاث به خرج من العرش، وإذا بالملائكة تنزل لتحارب في صفوف المسلمين ضد المشركين.



فنزل جبريل عليه السلام ومعه ألف من الملائكة كما قال تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: 19].



ولله عظمة أن الرسول ﷺ أخذ بالأسباب المادية والمعنوية وتوكل على الله فكان النصر والتأييد من الله تعالى، فقد اجتمع في بدر الأخذ بالأسباب بالقدر الممكن مع التوفيق الرباني في تهيئة جميع أسباب النصر.

وانتهت غزوة بدرٍ بنصر الإسلام
والمسلمين، وهزيمة الشرك
والمشركين .

وكان من نتائج الغزوة هلاك أئمة الكفر:

فقد قتل المسلمون سبعين رجلاً من بينهم أئمة الكفر.



خريطة غزوة بدر الكبرى



ثم وقعت غزوة بني قينقاع بعد غزوة بدر وأجلى بنو قينقاع من اليهود لغدرهم وخيانتهم وما فعلوه مع المرأة المسلمة من كشف سوءتها وضحكهم فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فقتل اليهود الرجل المسلم فحاصروهم النبي ﷺ وأجلاهم.





السنة السادسة عشرة من الهجرة والثالثة بعد الهجرة

كان الحبيب ﷺ في السادسة والخمسين من عمره الشريف.
وفي شوال من السنة الثالثة بعد الهجرة وقعت غزوة أحد.

أولاً: سبب الغزوة:

كانت مكة تحترق غيظًا مما أصابها في معركة بدر من مأساة الهزيمة، فأرادت



الانتقام، واتفقت قريش على أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين، تشفي غيظها، وتروي غلة حقدتها، وأخذت في الاستعداد للمعركة، وخصصت قافلة أبي سفيان التي نجت من المسلمين، ورباحها لتجهيز جيشهم.



ثانيًا: أحداث الغزوة:

خرجت قريش برجالها ونساءها بقيادة أبي سفيان بن حرب بجيش يقدر بـ ٣٠٠٠ مقاتل للقضاء على المسلمين وتحركوا نحو المدينة حتى نزلوا قريبًا من جبل أحد.

الاستخبارات النبوية تكشف حركة العدو:

وكان العباس بن عبد المطلب يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية، فلما تحرك هذا الجيش بعث العباس رسالة مستعجلة إلى النبي ﷺ ضمنها جميع تفاصيل الجيش.

وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة، وجدّ في السير حتى إنه قطع الطريق بين مكة والمدينة - التي تبلغ مسافتها إلى خمسمائة كيلومترًا - في ثلاثة أيام، وسلم الرسالة إلى النبي ﷺ.



استشارة الحبيب ﷺ للناس

خرج الحبيب ﷺ إلى الناس وخيّرهم بين الخروج لملاقاتهم وقتالهم، والبقاء في المدينة، وكان رأيه ﷺ ألا يخرجوا من المدينة حتى يستفيدوا من حصونها، فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه السكك والنساء من فوق البيوت.

فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته بدر وأشاروا على رسول الله ﷺ بالخروج. وألحوا عليه، فنهض ﷺ ودخل بيته ولبس لباس الحرب وخرج عليهم **فقالوا:** استكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج.

ثم قالوا: إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل **فقال ﷺ:** (مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ).





البداية:

خرج الحبيب عليه السلام من المدينة بألف مقاتل، لكن انسحب رأس النفاق عبد الله بن أبي سلول بثلاثمائة مقاتل في منتصف الطريق، وقد أدى انسحاب ثلث الجيش إلى اهتزاز الروح المعنوية للمسلمين .

فنزل قول الله تعالى: ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُ لَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠] .

وخطط الحبيب عليه السلام للمعركة واختار خمسين رامياً للوقوف على جبل يشرف على أرض المعركة، وأمرهم بألا يتحركوا من أماكنهم في حالة النصر أو الهزيمة إلا بأمره. وعند بداية المعركة أخذ الحبيب عليه السلام سيفه وقال: (مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا) فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول أنا أنا. قال: (فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ) فقال: أبو دجانة أنا أخذه بحقه. [رواه مسلم: ٢٤٧٠]

والتقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، واقتتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة الذي أخذ السيف من رسول الله عليه السلام ووعده بأنه يأخذه بحقه، حتى



أمعن في الناس، وجعل لا يلقي أحدًا إلا قتله وقاتل حمزة بن عبد المطلب قتالاً شديداً، لا يقف أمامه شيء، وكان وحشيّ غلام جبير بن مطعم له بالمرصاد، فقد وعده جبير بالعتق إن قتل حمزة، وقد قتل عمّه طعيمة يوم بدر، وكانت هند تحرّضه كذلك على قتل حمزة، وحمل وحشيّ على حمزة بجربته، فدفعها عليه حتى خرجت من بين رجليه، فوقع شهيداً.

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل، وأبلى المسلمون بلاءً حسناً، وكانت الغلبة كما هو معلوم أول الأمر للمسلمين، ثم إن الرماة عصوا النبي ﷺ وتركوا أماكنهم فانقلب الوضع وتغير الحال واستغل خالد بن الوليد هذه الثغرة فأصبح الأمر لهم، فبعدهم تمسك بعض الرماة بتعاليم الرسول ﷺ وأمره إلى اللحظة الأخيرة، وإخلائهم للجبهة التي عينهم رسول الله ﷺ عليها انكسر جيش المسلمين، وبدأ المسلمون يتلقون طعنات من الخلف. قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ: إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ، حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۗ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [آل عمران: ١٥٤].





109

وحيثُذ انكشف المسلمون ودخلهم الرعب، وأخذ المسلمون يقتتلون على غير شعار أو هدى، وأوجع المشركون في المسلمين قتالاً شديداً، حتى خلص إلى رسول الله ﷺ فرمي بالحجارة حتى رمي لشقه، وأصيبت رِبَاعِيَّتُهُ (السِّن المجاورة للنَّاب) وشجَّ في وجهه، وجعل الدم يسيل على وجهه فيمسحه وهو يقول: (كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟)، وجاءت **فاطمة** -رضي الله عنها- تغسل عنه الدم وعلي يسكب الماء بِالْمِجَنِّ (الترس)، فلما رأت أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك، وأثناء ذلك شاع في الناس أن رسول الله ﷺ قد قتل ^(١).

روائع من الحبِّ والقداء:

ولمَّا أشيع مقتل النبي ﷺ نزلت هذه الإشاعة كالصاعقة على المسلمين، فبدأوا يرمون السلاح ويفرون نحو المدينة، ولكن أنس بن التَّضْر، عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ تقدَّم، فلقية سعد بن معاذ، فقال: أين يا أبا عمرو؟ فقال أنس: واها لريح الجنَّة، يا سعد إني أجدها دون أحد، وانتهى أنس بن التَّضْر إلى رجال من المهاجرين



(١) متفق عليه: رواه البخاري، ومسلم.





والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، **فقال**: ما يجلسكم؟ **قالوا**: قتل رسول الله ﷺ. **قال**: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا وموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل، يقول أنس رضي الله عنه: لقد وجدنا به يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه أحد إلا أخته. ودافع طلحة بن عبيد الله بيده، بقي بها النبي ﷺ فأصيبت أنامله وشلت يده.

وترس أبو دجانة بنفسه دون رسول الله ﷺ تقع التبال في ظهره وهو منحني عليه، حتى كثر فيه النبل. ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ ويناوله النبي ﷺ النبل ويقول: **(ارم فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي)**.

وكان عمرو بن الجموح رجل أعرج شديد العرج، وكان له أربعة أبناء شباب، يغزون مع رسول الله ﷺ فلما توجه إلى أحد أراد أن يخرج معه، **فقال له بنوه**: إن الله قد جعل لك رخصة، فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد.

وأتى عمرو رسول الله ﷺ **فقال**: إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك، ووالله إني لأرجو أن أستشهد، فأطأ بعرجتي هذه في الجنة، **فقال له رسول الله ﷺ**: أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد، **وقال لبنيه**: وما عليكم أن تدعوه، لعل الله يرزقه الشهادة، فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيداً.





أما سعد بن الربيع فيقول عنه زيد بن ثابت : بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع، فقال لي: إن رأيته فأقرئه مني السلام **وقل له**: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجددك؟ **قال**: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بأخر رمق، وفيه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة سيف، ورمية سهم فقلت: يا سعد! إن رسول الله يقرأ عليك السلام، **ويقول لك**: أخبرني كيف تجددك؟ **فقال**: وعلى رسول الله السلام، **وقل له**: يا رسول الله! أجد ريح الجنة، **وقل لقومي الأنصار**: لا عذر لكم عند الله إن خالص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف، وفاضت نفسه من وقته^(١).

عودة المسلمين إلى مركزهم:

ولما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب، وأدركه أبي بن خلف.

وهو يقول: أي محمد لا نجوت إن نجوت، فقال رسول الله ﷺ: دعوه، فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من أحد أصحابه، ثم استقبله وطعنه في عنقه طعنة تقلب بها عن فرسه مرارًا.

(١) زاد المعاد: (٢/ ٣٥٣).





ولمّا أراد أبو سفيان الانصراف، أشرف على الجبل، ثمّ صرخ بأعلى صوته: إنّ الحرب سجل، يوم بيوم، اعل هبل.

فقال النبي ﷺ: قم يا عمر، فأجبه.

فقل: الله أعلى وأجلّ، لا سواء، فقتلانا في الجنّة وقتلاكم في النار.

قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم.

قال النبي ﷺ: أجيبوه.

قالوا: ما نقول؟.

قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم .

ولمّا انصرف، وانصرف المسلمون، نادى: إنّ موعدكم بدر للعام القابل، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: قل نعم، هو بيننا وبينكم موعد .

وفزع التّاس لقتلاهم، وحزن رسول الله ﷺ على حمزة، وكان عمّه وأخاه من الرضاعة، والمقاتل دونه.





تربية نفوس المسلمين

وقد كان ما وقع في أحد من محنة للمسلمين، تمحيصًا وتربية لهم، فلا ثقة بجماعة عاشت على سرور انتصار، ونشوة الفتح، وحلاوة الظفر، ولم تذق مرارة المصائب والخسائر، فإنها إذا أصيبت بذلك في يوم من الأيام، عزّ ذلك عليها واضطرب إيمانها، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُ عَلَيَّ أَحَدٌ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَبِكُمْ فَأَتْبَبَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لَيْكِلًا تَحْزَنُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمُ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

وقد هبّ الله نفوس المسلمين في هذه المعركة، لتتلقّى نبأ وفاة رسول الله ﷺ وشهادته، وإن تأخر ذلك، والثبات على العقيدة، والدعوة إليها والجهاد في سبيلها والوفاء لها في حياته، وبعد حياته، فلا يجبنون ولا يتخاذلون، ولا يهينون، فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ آعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ولكم أن تفعلوها مخالفة أمر واحد للنبي ﷺ هزمت المسلمين عن بكرة أبيهم، فما بالكم بعشرات المخالفات لأوامره ﷺ في حياتنا. **ولو انتصر المسلمون** بعد مخالفتهم للنبي ﷺ لتهاونوا في طاعة أمره ﷺ بعد ذلك.



فريضة غزوة أحد

خط التفاف خالد بن الوليد

إلى المدينة

جبل الرماة

جيش المسلمين
٧٠٠

جيش المشركين
٣٠٠٠

ميدان المعركة

جبل أحد





غزوة الأحزاب (الخبندق)

السنة الثامنة عشرة من البعثة والخامسة بعد الهجرة

كان الحبيب ﷺ في الثامنة والخمسين من عمره الشريف.



وقعت في السنة الخامسة من الهجرة غزوة الأحزاب .

أولاً: سبب الغزوة:

لما رأى اليهود انتصار المشركين يوم أحد، خرج أشرافهم - **كسلا بن أبي الحقيق** - وغيره إلى قريش بمكة يجرؤونهم على قتال الرسول ﷺ ووعدهم من أنفسهم النصر لهم. فأجابتهم قريش. **ثم خرجوا إلى غطفان:** فاستجابوا لهم ثم طافوا في قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك فاستجاب لهم من استجاب.



ثانياً: أحداث الغزوة:

خرجت قريش وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف مقاتل . ووافقهم بنو سليم بمر الظهران، وبنو أسد، وفزارة وأشجع وغيرهم. حتى بلغ عدد المشركين عشرة آلاف مقاتل.

مشاركة النبي ﷺ أصحابه:

فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم إليه استشار أصحابه. فأشار عليه سلمان الفارسي بفكرة جديدة، وهي حفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة. فأعجب الرسول الله ﷺ بذلك، فبادر إليه المسلمون. وعمل ﷺ فيه بنفسه. وكان في حفره من آيات نبوته ما قد تواتر الخبر به.

وَحَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَخْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَيْدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالْجُوعِ، قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشَ الْآخِرَةِ، فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ)، فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:



نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا *** عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا^(١)

وَعَنْ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ الثُّرَابَ وَقَدْ وَارَى الثُّرَابُ بِيَاضَ بَطْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ: (لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبَّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا، إِنْ الْأُلَى قَدْ بَعَّوْا عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَيْنَا)^(٢).

إنه التواضع والعدالة والمساواة بين القائد وأفراد جيشه.

وكان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل جعلوا الجبل خلفهم والخندق أمامهم.

ولما فرغوا من الخندق وأقبلت جموع الأحزاب في عشرة آلاف، وأحاطوا بـ (المدينة) من جميع جهاتها، واشتد الحصار على المسلمين، كما قال الله تعالى:

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ١٠﴾

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿ [الأحزاب: ١٠-١١]. لَجِيَ الْحَبِيبِ صلى الله عليه وسلم إِلَى رَبِّهِ يَدْعُوهُ وَيَقُولُ:

(١) متفق عليه: رواه البخاري ومسلم.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري ومسلم.



(اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْلُهُمْ)^(١).

وعندما رأت قريش وحلفاؤها الخندق **قالوا**: إنها مكيدة ما عرفتھا العرب من قبل، ففرضوا الحصار على المسلمين واستمر شهراً كاملاً ولم يكن بين القوم قتال إلا الرمي بالتبل والحصى، فأوقع الله بينهم التخاذل.

وانضم يهود بني قريظة إلى المشركين ناقلين بذلك العهد الذي كان بينهم وبين الحبيب فاشتد الحصار على المسلمين عدو من الداخل، وآخر من الخارج.



واستمر ذلك الوضع حتى أتى النصر من عند الله حيث أرسل الله عليهم في ظلمة شديدة من الليل ريحاً شديدة، في برد شديد، فأسقطت خيامهم، وأطفأت نيرانهم وزلزلتهم، حتى جالت خيولهم بعضها في بعض في تلك الظلمة، وقذف الله في قلوبهم الرعب فعادوا إلى بلادهم خائبين.

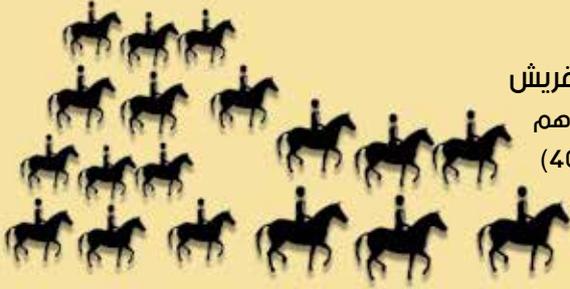
(١) متفق عليه: رواه البخاري ومسلم.



خريطة غزوة الأحزاب (الخندق)

قوات الكفار

وعددهم (6000)



قوات قريش

وعددهم

(4000)

(كنانة وبني فزارة وأشجع وبني سليم
وبي مرة وبني أسد وبقيّة الأحزاب)

جبل أحد



حرة جبل واقم

مخور تمثل حصنا طبيعيا

الخندق

طوله 300 متراً وعرضه من 7 : 10 متراً.
وعمقه من 3:5 متراً.

المسلمون

وعددهم

(3000)



المدينة

حرة جبل وبرة

مخور تمثل حصنا طبيعيا





السنة التاسعة عشر من البعثة والسادسة بعد الهجرة

كان الحبيب ﷺ في التاسعة والخمسين من عمره الشريف.



وعند عودة النبي ﷺ وأصحابه من بني المصطلق وقعت حادثة الإفك والتي برأ الله منها السيدة عائشة - رضي الله عنها - من فوق سبع سماوات وأنزل فيها قرآنًا.

فتعالوا بنا لنعرف القصة كاملة من أمنا عائشة - رضي الله عنها - قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَلِكَ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي



هُودَجِي، وَأَنْزَلَ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ، وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، أَذِنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ أَذْنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرَحْلُونَ لِي فَحَمَلُوا هُودَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أُرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، **قَالَتْ:** وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهُودَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنَزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنَزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنَزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاِحِلَتَهُ،



فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا، فَاَنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْحَيْشَ، بَعْدَمَا نَزَلُوا
 مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ
 بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ، حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ
 يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكَ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيْبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي
 لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ، الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسَلُّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: (كَيْفَ تَيْكُمُ؟) فَذَاكَ يَرِيْبُنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ،
 حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ وَخَرَجْتُ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِحِ، وَهُوَ مُتَبَرِّزُنَا،
 وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا
 أَمْرُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّنَزُّهِ، وَكُنَّا نَتَّأَذَى بِالْكُنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فَاَنْطَلَقْتُ
 أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ
 بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ،
 فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قَبْلَ بَيْتِي، حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرْتُ أُمَّ مِسْطَحٍ فِي
 مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحُ فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتُسَبِّينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ
 بَدْرًا، قَالَتْ: أَيُّ هُنْتَاهُ أَوْ لَمْ تَسْمِعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ: فَأَخْبَرْتَنِي





بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: (كَيْفَ تَيْكُمُ؟) قُلْتُ: أَتَأْذُنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيِّقَنَّ الْخَبَرَ مِنْ قَبْلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بِنِيَّةُ هَوْنِي عَلَيْكَ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقْ أَلِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلَبْتَ الْوَحْيَ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: (أَيُّ بَرِيرَةَ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيئُكَ مِنْ عَائِشَةَ؟) قَالَتْ لَهَا بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتِ عَلَيْهَا امْرَأَةً قَطُّ أَغْمَصَهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ



عَجِبِينَ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، **قَالَتْ**: فَقامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولَ، **قَالَتْ**: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: (يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي) **فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ**: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عَنْقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، **قَالَتْ**: فَقامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ اجْتَهَلْتُهُ الْحَمِيَّةُ، **فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ فَقامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ -، **فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ**: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَتَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فَشَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكْتُوا وَسَكَتَ، **قَالَتْ**: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي، فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي





اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبَيُّ، **قَالَتْ**: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، **قَالَتْ**: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، **قَالَتْ**: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ جَلَسَ، **ثُمَّ قَالَ**: (أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبْرِّئُكَ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهُ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ) **قَالَتْ**: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً، **فَقُلْتُ لِأَيِّ**: أَجِبَ عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ **فَقَالَ**: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ **فَقُلْتُ لِأَيِّ**: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **فَقَالَتْ**: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ **فَقُلْتُ** وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَفْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّرَ فِي نَفْسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُمْ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لِتُصَدِّقُونِي وَإِنِّي، وَاللَّهُ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] **قَالَتْ**: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، **قَالَتْ**: وَأَنَا، وَاللَّهُ





حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيءَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبْرِّئِي بِرَّاءَتِي، وَلَكِنْ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنَزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ ﷻ فِي بَأْمِرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا، **قَالَتْ:** فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَمَانِ مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ، **قَالَتْ:** فَلَمَّا سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: (أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّكَ) **فَقَالَتْ لِي أُمِّي:** قُومِي إِلَيْهِ، **فَقُلْتُ:** وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَّاءَتِي، **قَالَتْ:** فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَّاءَتِي، **قَالَتْ:** فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾





وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿النور: ٢٢﴾ **فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:** وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحَبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطِحِ التَّقَّةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، **وَقَالَ:** لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، **قَالَتْ عَائِشَةُ:** وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي (مَا عَلِمْتِ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ؟) **فَقَالَتْ:** يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا. **قَالَتْ عَائِشَةُ:** وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ ^(١).

وكان حسان رضي الله عنه ممن قيل عنه إنه يتكلم مع أهل الإفك فقال يعتذر إلى عائشة. ويمدحها:

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرَبِيَّةٍ *** وَتُصْبِحُ غَرْتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لُؤْيِي بْنِ غَالِبٍ *** كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ

مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا *** وَظَهَرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ رَعَمْتُمْ *** فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَامِلِي

وَكَيفَ وَوُدِّي مَا حَيِّتُ وَنُصْرَتِي *** لِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ الْمَحَافِلِ

(١) متفق عليه: رواه البخاري ومسلم.



وكانت عائشة لا ترضى أن يذكر حسان بشيء يكرهه وتقول إنه الذي يقول:
فإن أبي، ووالدي، وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء.

فهذه الحادثة على ما فيها من الشدة والألم ففيها من الدروس والعبر والتربية
للأمة ما لا يعلمه إلا الله ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: ١١].

فعندما تسمع كلاً عن شخص ما، ضع حاجزاً بين قلبك وأذنيك:

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].





وفي ذى القعدة سنة ست من الهجرة عزم الحبيب ﷺ على زيارة بيت الله الحرام فأحرم النبي ﷺ وأحرم أصحابه فبلغ قريش خروج النبي ﷺ وكانوا ألفاً وأربعمائة، فخرجت قريش لتمنع النبي ﷺ فنزل النبي ﷺ بمكان يسمى **الحديبية** وبدأت قريش تبعث سفرائها ثم أرسل النبي ﷺ بعثمان بن عفان رضي الله عنه فاحتبسته قريش عندها وأشيع أن قريشاً قتلت عثمان بن عفان فقام النبي ﷺ في أصحابه معلناً عزمه على قتال قريش ودعا النبي ﷺ الناس إلى البيعة فمدوا جميعاً أيديهم وبايعوا تحت شجرة على الموت وعلى ألا يفروا عند لقاء العدو، وكانت بيعة هامة، لأن المسلمين بلا سلاح، وسميت ببيعة الرضوان، وبعد البيعة بقليل تبين أن عثمان لم يقتل وخافت قريش فبعثت بسهيل بن عمرو وتم توقيع صلح الحديبية، وكان من شروطه:





✓ أن تهدأ الحرب بين الطرفين عشر سنوات .

✓ يؤجل دخول المسلمين إلى مكة للعام القادم .

✓ من أراد أن يدخل في حلف محمد ﷺ دخل فيه (مثل خزاعة) ومن أراد أن يدخل في حلف قريش دخل فيه .

✓ من أتى إلى قريش من المسلمين لا ترده، ومن أتى إلى محمد من قريش رده إليهم .

أهمية صلح الحديبية

كان هذا الصلح فتحًا مبيّنًا على المسلمين حيث بدأ الحبيب ﷺ في إرسال الرسل إلى الملوك ورؤساء العالم يدعونهم إلى الإسلام .

بدأت مرحلة نشر الدعوة عالميًا ومواجهة كل من يقف أمام تبليغها ونشر فضائلها بين الناس جميعًا .





السنة الحادية والعشرون من البعثة والثامنة بعد الهجرة

كان الحبيب ﷺ في الحادية والستين من عمره الشريف.



نحن الآن في السنة الثامنة للهجرة وها هي غزوة الفتح وقعت وسببها أن قريشاً نقضت صلح الحديبية وحاربت مع قبيلة بني بكر ضد قبيلة خزاعة المتحالفة مع المسلمين.

ويبدو أن خزاعة لم تكن مستعدة للقتال بدليل أنهم لما شعروا بأن بني بكر يطاردونهم دخلوا الحرم فتبعهم بنو بكر؛ ثم وقفوا لا يقدرّون على دخوله تعظيماً له، فقالت خزاعة لزعيم بني بكر نوفل بن معاوية الوائلي، يا نوفل: إلهك إلهك.





فقال نوفل: لا إله اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم، أفلا تصيبوا ثأركم فيه.

وبذلك نقضت قريش عهدها مع المسلمين وركب عمرو بن سالم إلى المدينة ليخبر الحبيب ﷺ بما حدث.

فقال له الحبيب ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم.

وبعد أن استشار ﷺ أصحابه واتفق رأيهم على الخروج إلى مكة، أمر أصحابه أن يأخذوا القوم على غرة قبل أن يستعدوا للحرب والقتال.

وقد أراد الرسول ﷺ لأهل مكة الخير لأنهم لن يقدرُوا على مواجهة هذا الجيش الكبير، ولكي يستسلموا، ويحقنوا دمائهم، فليس المراد أن يتشفى منهم، وإنما أراد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربه .

غير أن الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة أرسل كتابًا إلى قريش يحذرهم من قدوم رسول الله ﷺ وأنه سيأخذهم على حين غفلة من أمرهم، فجاء الوحي وأخبر رسول الله ﷺ .





فحاطب كتب إلى هؤلاء المشركين يُخبرهم بسر رسول الله ﷺ، وهو سر عسكري حربي يتعلق بجيش النبي ﷺ وأصحابه، وهذا في المقاييس والمعايير الدولية إلى يومنا هذا يُعد من الخيانة العظمى، فقد أفشى الخُطط العسكرية، للعدو.

فقال النبي ﷺ: يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ - يعني: كان حليفًا لهم ولم يكن منهم، كان من أهل اليمن - وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم، فأحببتُ إذا فاتني ذلك من النسبِ فيهم أن أتخذَ عندهم يدًا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادًا عن ديني، ولا رضا بالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ"، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ؟ فَقَالَ: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَيَّ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ" [رواه البخاري ومسلم].

هنا وضحت المسألة فقد أراد الرجل أن تكون له حظوة عند الكفار فإذا قامت الحرب، فلا يقتلون أهله الذين ما زالوا في مكة، ولا شك أن هذا خطأ في تقدير الحسابات لأن الكفار لا يفكرون بهذا المنطق، لأن الله لك قال:



﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة: ٨] فهم لا يتورعون إذا غلبوا المسلمين أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحداً، ولكن تاريخ الرجل، وحسن نيته كانا كفيلاً بالعفو عنه.

ودخل النبي ﷺ مكة في عشرة آلاف مسلم، وفي الطريق أسلم العباس عم النبي ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث ابن عم رسول الله ﷺ، وأسلم كذلك عبد الله بن أمية ابن عمه الرسول ﷺ، وأسلم كذلك حكيم بن حزام، وأبو سفيان بن حرب، ولم يبخس النبي ﷺ حقهم في المكانة والرياسة فقال لهم يوم الفتح، من دخل دار أبي سفيانٍ فهو آمنٌ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه، فهو آمن .

فهرع الناس إلى دورهم وأغلقوا الأبواب عليهم وهم ينظرون من شقوقها وثقوبها إلى جيش المسلمين .

وفي يوم الفتح أيضاً أمر الرسول ﷺ العباس أن يقف مع أبي سفيان عند الثنية التي سيدخل منها جيش المسلمين، فدخل الزبير بن العوام ومن معه، ثم دخل خالد بن الوليد من أسفل مكة، ثم تابعت القبائل ومعها الرايات



والأعلام وأبوسفيان ينظر إلى هذه الجموع التي لا قبل لقريش بها ويقول
للعباس، يا عباس: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا.
فقال له العباس: إنها النبوة يا أبا سفيان.

أما الرسول ﷺ فقد دخل مكة يوم الفتح خافضة رأسه، مسبحًا، ومعظمًا لله
الذي نصره، وأعزه، وهزم الأحزاب وحده، ولم يأمر الرسول ﷺ بقتل أحد إلا عبد
الله بن خطل، الذي كان يهجو الرسول ﷺ بالشعر.

واستسلمت مكة، وأخذ المسلمون يهتفون في جنبات مكة وأصواتهم تشق عنان
السماء: **الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر..**

وتوجه ﷺ إلى المسجد الحرام وهو يقرأ سورة الفتح حتى بلغ البيت فطاف سبعمائة
واستلم الحجر الأسود وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا فجعل يطعن بعود
في يده وهي تتساقط وهو يقول: ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾
[الإسراء: ٨١] ﴿ **قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ** ﴾ [سبأ: ٤٩]. هذه الأصنام كان من الممكن
أن تسقط في السابق ولكن الله أراد أن يعملوا ويجاهدوا ثم ينصرهم في آخر المطاف.



وعفا النبي ﷺ عن أهل مكة.

لقد أوضح فتح مكة الكثير من الدروس ومنها:

١. حرص الرسول ﷺ على حقن الدماء، فلقد أراد أن يدخل مكة قبل يستعدوا لقتاله في معركة غير متكافئة من جانبهم، وهذا درس للمظلوم إذا مكنه الله من استرداد حقه فلا يدفعه حقه من الانتقام من الآخرين والبطش بهم، بل عليه أن يعفو ويصفح.
٢. درس العفو من القائد، ومن الرئيس للمرؤوس إذا حدث منه خطي لا يقصده طالما أن نيته سليمة، ولم يتعمد الخطأ، وللأسف هناك صنف من المسؤولين لا يركزون إلا على الأخطاء التافهة فيجعلون من يعملون تحت أيديهم في هم وغم دائم فينعكس ذلك في النهاية على أدائهم وإنتاجهم.
٣. على القائد وقت نصره أن ينزل الناس منازلهم، فلا ينزع السلطة إلا من ظالم ولا يتعداه إلى غيره.



٤. الحق يحتاج إلى قوة تحميه، ولن يحترم العالم أمة ضعيفة قطعت أوصالها
الخلافات والنزاعات والنظرات الفردية.

٥. كن متسامحاً مع الناس، أحسن إليهم حتى وإن أساءوا إليك، واجعل

قدوتك في ذلك محمداً ﷺ كذبه قومه، واتهموه، وضيقوا عليه، وطردوه من وطنه،
واستهزءوا به، وبدعوته، وبأتباعه، فلما تمكن منهم، وقدر عليهم (عنه)
(عنه).



غزوة حنين

شوال العام الثامن للهجرة

بعد أن فتح المسلمون مكة انزعجت القبائل المجاورة لقريش من انتصار المسلمين على قريش .

وفزعت هوازن وثقيف من أن تكون الضربة القادمة من نصيبهم، وقالوا: لنغزُ محمدًا قبل أن يغزونا، واستعانت هاتان القبيلتان بالقبائل المجاورة .

وقرروا أن يكون مالك بن عوف سيد بني هوازن قائد جيوش هذه القبائل التي ستحارب المسلمين .

وأمر رجاله أن يصطحبوا معهم النساء والأطفال والمواشي والأموال ويجعلوهم في آخر الجيش، حتى يستमित الرجال في الدفاع عن أموالهم وأولادهم ونسائهم .

لما علم الحبيب ﷺ بذلك خرج إليهم مع أصحابه، وكان عدد المسلمين اثني عشر ألفًا من المجاهدين، وعدد الكفار عشرون ألفًا .



١٣٩

ونظر المسلمون إلى جيشهم الكبير فاغترتوا بالكثرة، وقالوا: لن نغلب اليوم من قِلَّةٍ .

وبلغ العدوَّ خبرَ خروج المسلمين إليهم فأقاموا كمينًا لهم عند مدخل وادي أوطاس، قرب الطائف .

وأقبل الرسول ﷺ في أصحابه حتى نزلوا بالوادي، وكان الوقت قبيل الفجر، والظلام يخيم على وادي حنين .

وفوجيء المسلمون ببابل من السهام تنهال عليهم من كل مكان، فطاش صوابهم، واهتزت صفوفهم، وفرَّ عددٌ منهم .

ولما رأى الرسول ﷺ هزيمة المسلمين نادى فيهم:

أَمَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَمَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

[رواه البخاري ومسلم].

فما استطاع أحد من الكفار أن يخرج له، مع أنه هو المطلوب ﷺ.

وأمر الرسول ﷺ العباس أن ينادي في الناس، فقال: يا معشر الأنصار، ويا معشر المهاجرين، يا أصحاب الشجرة، فأجابوه: لبيك يا رسول الله لبيك .



وانتظم الجيش مرةً أخرى، واشتد القتال، وأشرف الرسول ﷺ على المعركة .

وما هي إلا ساعة حتى انهزم المشركون، وولوا الأدبار، تاركين النساء والأموال .

وعرف العرب ألا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله

أفواجًا .

وكانت حين درسًا استفاد منه المسلمون، فتعلّموا أن النصر ليس بكثرة العدد

والعدّة .





استقبال الوفود

السنة الثانية والعشرون من البعثة والتاسعة بعد الهجرة

كان الحبيب ﷺ في الثانية والستين من عمره الشريف.



ثم بدأ النبي ﷺ باستقبال الوفود وبيعت العمال وبيث الدعاة.

وفي أواخر شهر ذي القعدة من هذه السنة خرج أبو بكر الصديق

بإذن الرسول ﷺ أميراً على الحج.



وفي هذه السنة ٩ هـ توفي إبراهيم ابن الرسول ﷺ وهو ابن ثمانية عشر

شهرًا ودفن بالقيع.



وفيها طلع جبريل على النبي ﷺ والناس حوله في المسجد في صورة رجل وسأل

النبي ﷺ عن الإيمان والإحسان.



حَجَّجْنَا الْوُكَاةَ

السنة الثالثة والعشرون من البعثة والعاشر بعد الهجرة

كان الحبيب ﷺ في الثالثة والستين من عمره الشريف.

وفي هذه السنة تتابع قدوم وفود عديدة على الرسول ﷺ .

وفي هذه السنة أعلن الحبيب ﷺ بقصده للحج فقدم المدينة بشركثير

كلهم يلتمس أن يأتهم برسول الله ﷺ .

وفي يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة تهيأ الحبيب ﷺ للرحيل وانطلق

بعد الظهر .

وفي طريقه للحج جاء علي بن أبي طالب ؑ ومعه وفد من قبيلة همدان إحدى قبائل

اليمن يريدون الحج معه بعد أن أسلموا، ولما رآهم رسول الله ﷺ قال لهم: (جَاءَ أَهْلُ

الْيَمَنِ، هُمْ أَرْقُ أَفِيدَةٍ، الْإِيْمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ) ^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري، ومسلم.



١٤٣



ودخل الحبيب ﷺ مكة وشاء الله أن يرى رسوله ﷺ ثمار دعوته، التي عانى في سبيلها ألواناً من المتاعب بضعاً وعشرين عامًا، فيجتمع في أطراف مكة بأفراد قبائل العرب وممثليها، فيأخذوا منه شرائع الدين وأحكامه، ويأخذ منهم الشهادة على أنه أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة.

فاجتمع حوله ﷺ جموع لا يعلمها إلا الله تعالى قيل كانوا مائة ألف وأربعة وعشرين أو أربعة وأربعين ألفاً من الناس يموج حول رسول الله ﷺ بالتلبية والتكبير والتسبيح والتحميد، تدوي له الآفاق، وترتج له الأرجاء.

فقام فيهم خطيبًا، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله،

وقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا يَوْمٌ حَرَامٌ قَالَ فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا



قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ قَالَ فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ

وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا

فَأَعَادَهَا مِرَارًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ قَالَ ابْنُ

عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ

(الغائب) [رواه البخاري: ١٧٣٩].



فكانت هذه الكلمات في خطبة الوداع وهي من وصاياه ﷺ في آخر حياته.

لكل من يتكلم في الناس وأعراض النساء.

لكل من يتكلم في لعوم العلماء.

لكل من يأكل أموال الناس بالباطل.

لكل من يقتل الأبرياء.

السنة الحادية عشرة بعد الهجرة

وأول أحداث سنة ١١ من الهجرة بعث ﷺ أسامة بن زيد بجيش إلى الشام وبينما الجيش يستعد للخروج إذا برسول الله ﷺ يبتدئ مرضه الذي قبض فيه فوقف الجيش في انتظار شفاء الحبيب ﷺ.





وفاة الحبيب ﷺ

قبل وفاة الحبيب ﷺ كانت حجة الوداع، وبعدها نزل قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقبل وفاة الحبيب ﷺ بتسعة أيام نزلت آخر آية من القرآن: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

بداية المرض:

وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١هـ بدأ الوجع يظهر علي الحبيب ﷺ **فقال:** أريد أن أزور أهل البقيع فذهب إليهم ووقف علي



قبورهم وقال:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَآحِقُونَ.



وأثناء رجوعه من الزيارة بكى رسول الله ﷺ قالوا ما يبكيك يا رسول الله؟
قال: (وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتَنَا إِخْوَانَنَا). **قالوا:** أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ **قال:** (أَنْتُمْ
 أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ).

فقالوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ **فقال:** (أَرَأَيْتَ
 لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دُهْمٍ بِهِمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ).
قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. **قال:** (فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ
 عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لِيَذَادَنَّ رِجَالٌ عَنِ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ.
 فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا) [رواه مسلم: ٢٤٩].

وعاد الحبيب ﷺ وهو في الطريق أخذه صداع في رأسه وارتفعت درجة الحرارة
 في جسده ﷺ فدخل على عائشة فوجدها تقول: وأرأساه. **فقال:** (بَلْ أَنَا وَاللَّهِ يَا
 عَائِشَةُ وَأَرَأَسَاهُ).

وصلى بالناس وهو مريض ١١ يومًا.



الأسبوع الأخير

بدأ الوجع يشتد عليه ﷺ وكان في بيت السيدة ميمونة، **فقال**: اجتمعوا زوجاتي، فجمعت الزوجات، **فقال الحبيب ﷺ**: أتأذنون لي أن أمرض في بيت عائشة؟ **فقلن**: أذن لك يا رسول الله .

فأراد أن يقوم فما استطاع فجاء علي بن أبي طالب والفضل بن العباس فحملا النبي ﷺ وخرجوا به من حجرة السيدة ميمونة إلى حجرة السيدة عائشة فرآه الصحابة على هذا الحال لأول مرة.

فبدأ الصحابة في السؤال بهلج: ماذا أحل برسول الله ﷺ.. ماذا أحل برسول الله ﷺ. فتجمع الناس في المسجد وامتلاً وتزاحم الناس عليه. وبدأ العرق يتصبب من الحبيب ﷺ بغزارة، **فقالت السيدة عائشة**: لم أر في حياتي أحداً يتصبب عرقاً هكذا، فكنت آخذ بيد النبي ﷺ وأمسح بها وجهه، لأن يد النبي ﷺ أكرم وأطيب من يدي. فأسمعه يقول: (**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكْرَاتٍ**).



قبل خمسة أيام من وفاة الحبيب ﷺ

كثر اللغظ (أي الحديث) في المسجد إشفاقاً علي الرسول ﷺ فقال الحبيب ﷺ: (ما هذا؟).

فقالوا: يارسول الله، يخافون عليك. فقال ﷺ: (احملوني إليهم). فأراد أن يقوم فما استطاع، وأشدت الوجع بالحبيب ﷺ وأغمى فقال ﷺ: هريقوا عليّ سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم، فصبوا عليه الماء فلما أحس بخفة دخل المسجد متعطفاً ملحفه على منكبيه وصعد إلى المنبر.. فخطب في الناس فكانت آخر خطبه لرسول الله ﷺ و آخر كلمات له.

فقال الحبيب: (أيها الناس، كأنكم تخافون عليّ)، **فقالوا:** نعم يارسول الله.

فقال: (أيها الناس، موعدكم معي ليس الدنيا، موعدكم معي عند الحوض،

والله لكأني أنظر إليه من مقامي هذا. أيها الناس، والله ما الفقر أخشي

عليكم، ولكنني أخشي عليكم الدنيا أن تنافسوها كما تنافسها الذين من

قبلكم، فتهلككم كما أهلكتهم).





ثم قال: (أيها الناس ، الصَّلَاة الصَّلَاة اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ).



ثم قال: (إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ ، وَبَيْنَ



مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ) فلم يفهم أحد قصده من هذه الجملة، الوحيد

الذي فهم هذه الجملة هو أبو بكر فانفجر بالبكاء وعلا نحيبه، ووقف وقاطع

النبي ﷺ **وقال:** **فَدَيْنَاكَ يَا بَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا** ، وظل يرددتها ..

فنظر الناس إلى أبي بكر، كيف يقاطع النبي ﷺ؟! فأخذ الحبيب ﷺ يدافع عن أبي بكر قائلاً: (أيها الناس، دعوا أبا بكر، فما منكم من أحد كان له عندنا من فضل إلا كافأناه به، إلا أبا بكر لم أستطع مكافأته، فتركت مكافأته إلى الله) **وقال ﷺ:** (إِنَّ مِنْ أَمْنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أبا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ، إِلَّا خَلَّةَ الْإِسْلَامِ ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْحَةٌ إِلَّا خَوْحَةُ أَبِي بَكْرٍ) ^(١).

وقبل نزوله ﷺ من المنبر دعا للمسلمين، فقال:

أواكم الله، حفظكم الله، نصركم الله، ثبتم الله، أيدكم الله .

(١) متفق عليه: رواه البخاري، ومسلم.





وأخر كلمة قالها ﷺ كانت موجهة للأمة من على منبره قبل نزوله:

أيها الناس، أقرأوا مني السلام كل من تبعني من أمتي إلى يوم القيامة.

قبل وفاة الحبيب ﷺ بثلاثة أيام:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ﷻ) [رواه مسلم: ٢٨٧٧].

قبل يوم أو يومين:

ويوم السبت أو الأحد وجد الحبيب ﷺ في نفسه خفة فخرج بين رجلين لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأوماً إليه بألا يتأخر وقال ﷺ أجلساني إلى جنبه فأجلساه عن يسار أبي بكر فكان أبو بكر يقتدى بصلاة رسول الله ﷺ ويسمع الناس التكبير.





قبل يوم ٥

وقبل يوم من الوفاة: يوم الأحد أعتق النبي ﷺ غلماناه وتصدق بستة أو سبعة دنانير كانت عنده ووهب للمسلمين أسلحته وفي الليل استعارت عائشة الزيت للمصباح من جارتها، وكانت دِرْعُهُ ﷺ مَرْهُونَةً عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ^(١).

آخر يوم في حياة الحبيب ﷺ

وبينما المسلمون في صلاة الفجر من يوم الإثنين وأبو بكر يصلى بهم وإذ برسول الله ﷺ كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ليرى ثمرة جهاده وصبره فألقى على أصحابه الذين أحبهم وأحبوه نظرة وداع ثم تبسم وكانت آخر ابتسامة ابتسمها الحبيب ﷺ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري ومسلم.



وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَى عَقْبِيهِ لِيَصِلَ لَهُ الصَّفَّ فَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ عَوْفَى مِنْ مَرَضِهِ وَيُرِيدُ الْخُرُوجَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ **أنس** رضي الله عنه: وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ أَنْ أَتَمُّوا صَلَاتَكُمْ ثُمَّ دَخَلَ الْحَجْرَةَ وَأَرْخَى السِّتْرَ ^(١). وَلَمْ تَأْتِ عَلَى الْحَبِيبِ صلى الله عليه وسلم صَلَاةٌ أُخْرَى.

ولما ارتفع الضمى دعا الحبيب صلى الله عليه وسلم فاطمة، فلما دخلت عليه بكت، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستطع القيام، فكان يقبلها بين عينيه كلما جاءت إليه **فقال النبي** صلى الله عليه وسلم: (إدني مني يا فاطمة)، فحدثها النبي صلى الله عليه وسلم في أذنها، فبكت أكثر. فلما بكت قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (إدني مني يا فاطمة) فحدثها مره أخرى في أذنها، فضحكت.

قالت عائشة: فسألنا عن ذلك أي فيما بعد، فقالت: سارني النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت. ودعا الحسن والحسين فقبلهما وأوصى بهما خيراً ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن.

وبدا الاحتضار فأسندته عائشة إليها ودخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده سواك فنظر إليه الحبيب صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يستطع أن يطلبه من شدة مرضه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري، ومسلم.



103

فهمت السيدة عائشة من نظرة النبي ﷺ، **فقالت**: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم فتناولته فاشتد عليه **فقالت له** ﷺ: أئينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته حتى يكون طرياً عليه **فقالت**: كان آخر شيء دخل جوف النبي ﷺ هو ريقتي، فكان من فضل الله علي أن جمع بين ريقتي وريق النبي ﷺ قبل موته.

وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح به في وجهه **ويقول**: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِمَوْتِ لَسَكْرَاتٍ) وما عدا أن فرغ من السواك حتى رفع يده أو أصبعه وشخص بصره نحو السقف وتحركت شفتاه فأصغت إليه عائشة وهو يقول: (مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللَّهُمَّ اغفر لي وارحمني وألحمني بالرفيق الأعلى اللَّهُمَّ الرفيق الأعلى) كرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً **تقول السيدة عائشه**: فعرفت أنه بخير.

تقول السيدة عائشه: فسقطت يد النبي ﷺ وثقلت رأسه في صدري، فعرفت أنه قد مات... فلم أدر ما أفعل؟! فما كان مني غير أن خرجت من حجرتي وفتحت بابي الذي يطل علي الرجال في المسجد، وأقول:

مات رسول الله، مات رسول الله . تقول: فانفجر المسجد بالبكاء.



فهذا علي بن أبي طالب عليه السلام أقعد، وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه كالصبي يؤخذ بيده يمني ويسري وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرفع سيفه ويقول: **من قال أنه قد مات قطعت رأسه، إنه ذهب للقاء ربه كما ذهب موسى للقاء ربه وسيعود ويقتل من قال أنه قد مات.** أما أثبت الناس فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم واحتضنه وقال:

وآآ خليلاه، وآآ أصفياه، وآآ حبيباه، وآآ نبياه .

وقبل النبي صلى الله عليه وسلم وقال: طبت حياً وطبت ميتاً يا رسول الله.

ثم خرج يقول: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ... ويسقط السيف من يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: فعرفت أنه قد مات ... ويقول: فخرجت أجري أبحث عن مكان أجلس فيه وحدي لأبكي وحدي ...



ودفن الحبيب ﷺ، والسيدة فاطمه تقول:

أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الرَّابِّ؟ ...

ووقفت تنعي النبي ﷺ وتقول: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ
الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ نَنَعَاهُ^(١).

وقع هذا الحادث حين اشتدت الضحى من يوم الإثنين الرابع الأول سنة ١١ هـ
وقد تم له ﷺ ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام.

وبدأ المسلمون يسيرون في طرقات المدينة يتذكرون أيامهم مع الحبيب ﷺ ...

ويرون أحاديثه ويتذكرون توجيهاته العظيمة، وينتظرون يوم القيامة ليشربوا
من حوضه الشريف ويتمتعوا بشفاعته العظمى ...

وهكذا مات الحبيب ﷺ ولكن سنته باقية إلى يوم القيامة؛ وستبقى سيرته دماءً حيةً
تنبض في العروق؛ وتحيا بها القلوب؛ وستبقى لترسم لنا جميعاً منهج حياة طيبة؛ يسعد بها
المسلم في الدنيا والآخرة، بشرط أن يتعايش مع سيرته وسنته بقلبه وجوارحه.

(١) صحيح: رواه البخاري.



لقد عانى النبي ﷺ في حياته كلها الكثير من المتاعب والمشايق وما
ذلك إلا لجهه لك، ولأنه يريد لك السعادة في الدنيا والآخرة .

فمن أجهك .. قام يدعو ليلاً نهاراً فما استراح ساعة وما ركن يوم عن دعوته .

ومن أجهك .. رمى بالجنون وبالسحر والكهانة وبأنه يفرق بين الرجل وزوجه .

ومن أجهك .. قذفه أهل الطائف بأبشع السباب ورماه أطفالها بالحجارة .

ومن أجهك .. وقع في حفرة يوم أحد وكسرت رباعيته وأصيب في رأسه .

ومن أجهك .. رمى في عرضه الشريف من المنافقين .

ومن أجهك .. ما شبع يوماً ، وما استراح قط .

آلاف المواقف وعشرات القصص تحكي كم ضحى الحبيب ﷺ من أجل أمته ابتلى ..
وأهين .. وأصيب .. فما رده ذلك عن دعوته شبراً .

كل ذلك لأنه يحب أمته ويبغى لها الخير فهل أعييناه كما أعييناه؟





الدروس المستفادة من المرحلة الأخيرة في حياة الحبيب ﷺ

١- أن الله ﷻ أرسل رسله لمهمة محددة وهي **هداية الناس إلى توحيد الله رب العالمين**، فإذا بلغوا ما أرسلوا به، فقد أدوا ما عليهم، ويبقى المصير والمرجع إلى الله، الذي سيجازي عباده على أفعالهم.

٢- ختم النبي ﷺ حياته **بمضاعفة الطاعات** فقد اعتكف في العام الذي توفي فيه عشرين يوماً، وقرأ القرآن مع جبريل ﷺ مرتين.

٣- حرص النبي ﷺ على **أداء الصلاة في المسجد رغم ما به من مرض**؛ فكان يتحامل على الصحابة حتى يصلي معهم، ولا يتخلف عن المسجد إلا بعد أن ثقل عليه المرض بحيث لا تستطيع أن تحمله قدماه.

٤- أوصى النبي ﷺ **بالنساء خيراً**، فلم ينس ﷺ: تضحياتهن في سبيل إعلاء كلمة التوحيد كأمثال السيدة خديجة، وعائشة، وسمية، وأم سلمة، وغيرهن.

٥- حرص النبي ﷺ قبل الوفاة على **الصدقة** فيما أشار إلى السيدة عائشة ﷺ أن تتصدق بالمال.



٦- حرص النبي ﷺ على تطبيق السنة، فكان يأخذ السواك ويضعه في فمه، لأنه علم أن ذلك يرضى الله ﷻ.

وأن رسول الله ﷺ خير ما بين الدنيا والآخرة فاختار ما عند الله، لأنه علم أن الدنيا متاعها قليل، وأن السعادة الحقيقية في الدار الآخرة والنظر إلى وجه رب العالمين.

في طريقك للتباع النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم وللوصول على محبته

لا بد لك من معينات ثلاث:

١- العلم: والمعرفة بخلق النبي ﷺ وسيرته وجهاده وحبه للخير وبذله لروحه وماله وجهده كله في سبيل الإسلام... فلن تتحسن نية بلا معرفة وبلا علم.

٢- العمل: ويأتي بعد المعرفة عمل... فلا قيمة أن تتعلم خلق النبي ﷺ ثم تأتي غيره، أو تعلم منهجه ثم تهمله أو تعلم سنته ولا تأتيها. وبالعمل تتحقق النجاة للمسلم.

٣- الصبر: ولاستمرارك على طريق الله وحب رسوله ﷺ لا بد لك من صحبة، إذا نسيت الله ذكرك، وإذا ذكرت الله أعانك.



مِمَّا صَحَّ فِي وَصْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

" كان ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا ليس بالطويل البائن ولا

بالقصير" [رواه البخاري].

" كان ﷺ أبيض مليح الوجه " [رواه مسلم].

" كان ﷺ وجهه مثل الشمس والقمر وكان مستديرًا " [رواه مسلم].

" كان ﷺ إذا سَرَ استنار وجهه كأنه قطعة قمر " [متفق عليه].

" كان ﷺ أشكل العينين " [رواه مسلم]. أشكل العينين : في بياض عينية حمرة

" كان ﷺ شديد سواد الشعر أكحل العينين إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه

سبيكة فضة " [صححه الألباني].

" كان ﷺ مربعًا بعيد ما بين المنكبين له شعر يبلغ شحمة أذنيه " [رواه البخاري].

" كان ﷺ ضخم الرأس واليدين والقدمين " [رواه البخاري].



كان ﷺ يمشي مشياً يعرف فيه أنه ليس بعاجز ولا كسلان " [صححه الألباني].

" كان ﷺ إذا مشى لم يلتفت " [صححه الألباني].

" كان ﷺ يُعرف بريح الطيب إذا أقبل " [صححه الألباني].

" كان ﷺ لا يضحك إلا تبسماً " [صححه الألباني].

" كان ﷺ كلامه يفهمه كل من سمعه " [صححه الألباني].

" كان ﷺ خلقه القرآن " [رواه مسلم].

" كان ﷺ أحسن الناس خلقاً " [متفق عليه].

" كان ﷺ يجلس على الأرض ويأكل عليها " [صححه الألباني].

" كان ﷺ أرحم الناس بالصبيان والعيال " [رواه مسلم].

" كان ﷺ يمر بالصبيان فيسلم عليهم " [متفق عليه].

" كان ﷺ رحيماً ولا يأتيه أحد إلا وعده وأنجز له " [صححه الألباني].



" كان ﷺ لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته " [صححه الألباني].



" كان ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس " [متفق عليه].



" كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها " [متفق عليه].



" كان ﷺ لا ينتقم لنفسه " [متفق عليه].



" كان ﷺ يحب الحلواء والعسل " [متفق عليه].



" كان ﷺ يعطي عطاءً لا يخشى الفقر " [رواه مسلم].

جمعنا الله وإياكم بنبينا عليه الصلاة والسلام وأسكننا الفردوس الأعلى من الجنة
ورزقنا حبه واقتناء أثره واتباع سنته وأهنا عشر في زمرة.
آمين .

فهرس الكتاب

الصفحة	العنوان	م	الصفحة	العنوان	م
٧٥	الحبيب ﷺ في المدينة	١٥	٥	المقدمة	١
٧٨	كيف أسس الحبيب للإسلام دولة	١٦	١٠	نسب الحبيب ﷺ	٢
٨٠	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار	١٧	١٤	مولد الحبيب ﷺ	٣
٨٢	مبادئ التعايش مع الآخر	١٨	٢٠	مع الجدة العطف	٤
٨٩	غزوة بدر الكبرى	١٩	٣١	البعثة ونزول الوحي	٥
١٠٤	انكسارات وانتصارات	٢٠	٣٧	الدعوة سرًا	٦
١٠٩	روائع من الحب والفداء	٢١	٣٩	صيحة الحق	٧
١١٥	غزوة الأحزاب (الخندق)	٢٢	٤١	تحمل الأذى	٨
١٢٠	حادثة الإفك	٢٣	٤٧	في شعب أبي طالب	٩
١٢٩	صلح الحديبية	٢٤	٥٢	البحث عن مكان جديد للدعوة	١٠
١٣١	الفتح المبين	٢٥	٥٧	أعظم رحلة في التاريخ	١١
١٣٨	غزوة حنين	٢٦	٦٠	أسلوب جديد في نشر الدين	١٢
١٤٤	وفاة الحبيب ﷺ	٢٧	٦٧	برلمان قريش	١٣
١٦٢	الفهرس	٢٨	٧١	تخطيط الحبيب ﷺ للهجرة	١٤